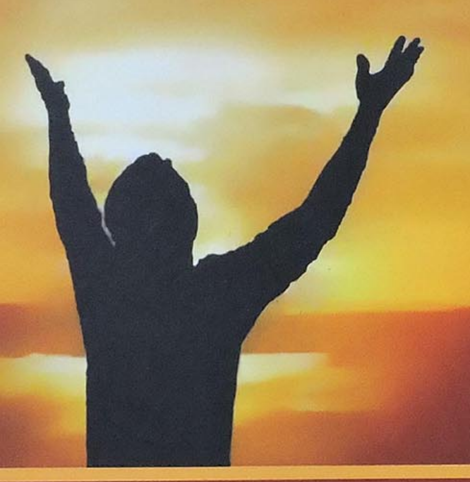
محمد الناصر صدّيقي

فكرة المخلِّص

بحث في الفكر المهدوي



Jadawel جداول

محمد الناصر صدّيقي

فكرة المخلِّص

بحث في الفكر المهدوي

Jadawel جداول

الكتاب: **فكرة المخلّص.. بحث في الفكر المهدوي**
المؤلف: **محمد الناصر صدّيقي**

جداول
للنشر والتوزيع
الحمرا - شارع الكويت - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 - فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
email: info@jadawel.net
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
كانون الثاني / يناير 2012
ISBN 978-614-418-100-3

طبع في لبنان

Hamra Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2012 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. ابراهيم

فهرس المحتويات

الإهداء

إلى الوالدة

خديجة

نبع العطاء الدائم

تقديم

لقد أولى محمد الناصر صديقي اهتمامه إلى مجالات بحث لم يكن التوغل فيها إلى حد الآن عميقًا في جامعتنا.

وأتاح له هذا الاتجاه الاطلاع على بعض ما انبثق ضمن الأنثروبولوجيا التاريخية من دراسات وجهود نظرية ونتائج تطبيقية.

وكانت متابعة الملتقيات المختصة مساعدة على تأسيس مقاربة مبتكرة للنظر في الطقوس والعقائد والمتصورات الذهنية للمجتمعات على امتداد فترة طويلة من تاريخها.

وقد سعى جاهدًا إلى تطبيق ما حصّله من نظريات وما أفاده من قراءات في هذا الشأن وفي هذا الإطار تندرج رسالة الدراسات المعمقة (D.E.A) المتميزة التي اتخذ موضوعًا لها اليزيدية وقد نشرت ولم يكن هذا فضله الوحيد إذ تمكّن طيلة سنوات بحثه وإعداده لأطروحة حول القرامطة من القرن الثالث إلى القرن الخامس هجري من إنشاء شبكة علاقات مع فرق عمل وبحث متعددة في العالم كله وبفضل هذه الاتصالات انتفع بروافد وموارد ما كانت لتتوفر له في المستوى المحلي فضلًا عن عديد الدراسات والمقالات والأعمال التي يتطلب بحثه وكانت ثمرة هذه البحوث وهذه المسالك التوثيقية مناقشة الدكتوراه والحصول

عليها بدرجة مشرف جدًّا في إبريل/نيسان من هذه السنة ويظلّ انشغال الباحث الأساسي هو بدون نزاع المسائل الموصولة بمواضيع «الروحانية» وبشكل عام الأديان الخارجة عن المألوف في الشرق في القرون الأولى التالية للإسلام وينضوي في دائرة الاهتمام التأثير الذي مارسته الأديان السابقة للإسلام، والفلسفة اليونانية وخصوصًا الافلوطينية والعقائد التوحيدية القديمة التي سادت في المنطقة.

إن هذا الإرث العقائدي مثل مهادًا احتضن ميلاد الأديان التي نهلت منه في القرنين الثالث والرابع ميلادي لقد انتهجنا منهجًا «حفرانيًّا» مكّن من التوغل في الجذور البعيدة أو العميقة لهذه الأديان والعقائد وقد شُغف الباحث بهذا القطاع من البحث فأقبل على النبش والتنقيب فيه مقلبًا ورافعًا عنه غطاء النسيان والإهمال.

وإنها لمشكلة جوهرية هذه التي انكبّ عليها، فعلى امتداد كلّ العصور والحقب وفي كلّ الحضارات بدا الإنسان مسكونًا بهاجس الحياة الأبدية أو الحياة ما بعد الموت، وتجاوبت كلّ الأديان التوحيدي منها والوثني كذلك لهذه الأسئلة الغيبية وقدمت للبشر عقائد عن الانبعاث اطمأنوا إليها وجدوا فيها معنى، وارتقى الإنسان بهذه الأجوبة التي قدمتها له عقائده إلى أن يكتسب كينونة ميزته عن الحيوان بأن جعلته كائنًا جوهره الروح، هي تبقر والجسد يفنى ويرتبط بكل هذا التّوق إلى عالم أفضل، ففي المجال الاجتماعي يظلّ البشر مشدودين إلى ما يحرّرهم من واقعهم، إلى مجتمع العدالة والمساواة وهذا العالم المأمول لأنه مثالي فهو يعطي منزلة خاصة لرجوع «الهادي» و«القائد» و«المنقذ»

وكان «الانتظار» و«أمل العودة» أفكارًا تشترك فيها عقائد متعددة، نسمي هذا «المهدويّة» (Le messianisme).

والمقاربة التي يقترحها الباحث ويشرع فيها هي واقعة في هذا المدار، وأقسام هذه الدراسة الثلاثة هي محاولة بحث في الموضوع المُشار إليه.

ففي البدء تطلّع إلى الأديان الشرقية القديمة الناشئة في بلاد ما بين الرافدين وتلك الفارسية والفرعونية.

ثم فحص متصور المنقذ في الأديان الكتابية، لدى فكري التوحيد اليهودي والمسيحي وسيمضي البحث والتحليل وذلك بمساءلة دقيقة لكل المعتقدات اليهودية وكلّ النظم الكنسية المنشقة تلك التي انبثقت بعد مجمع نيقية le concile de nicée سنة 325م وخاصة خلال القرنين الرابع والخامس في الشرق. وستكون كل الفروقات وكلّ التشعبات محلّ درس وموضع نظر لأنه في الجزء الثالث سيخصص للخوض في موضوع: «المهدوية» عند المسلمين وستكون المقاربة نفسها هي التي توجّه في التحليل ، فالتيار المهدوي سينظر إليه عند الأمويين أصحاب الملك الأوائل من المسلمين السُّنة وإن المهدوية (le messianisme) قد عرفت تعبيرها الأكثر امتلاء في أوساط الشيعة الإمامية الاثني عشرية وخاصة لدى الإسماعيلية السبعية. وأُثيرت في إطار هذا الاهتمام ذي الطابع الموسع هذه الشخصية المشتركة عند المسيحيين والمسلمين على السواء: نعني الدجال أو المسيخ الدجال/ l'antéchrist!.

واستندت الدراسة إلى قائمة بيلوغرافية ثرية ومتنوعة فنهضت

تفكيرًا حيويًا سليمًا وموجهًا بدقة كان من ثماره هذا الكتاب وسيجد القارئ فيه عمقًا وطرافة وجدّة حين يقبل على اقتنائه وقراءته.

منيرة شابوتو الرمادي
أستاذة تاريخ العالم العربي
والإسلامي في العصر الوسيط بجامعة تونس

المقدمة

كانت ولا زالت مسألة الانتظار والخلاص الإنقاذي موضوعًا شاغلًا لكل المجموعات والمنبثقات في الإسلام المبكر، إذ بنت مشروعها السياسي المعارض للسلطة الخلائفية في مراحلها المختلفة على هذا الأساس المفعم بالأمل وبالخير والاطمئنان، حيث ينبلج فيه صبح جديد لأولئك المحرومين وتردّ فيه مظالمهم ويقتصّ من جلّاديهم، وهذا المشروع الحسّي الوجداني الذي جيَّرته هذه المنبثقات المذهبية في الإسلام المبكّر في صورة مشروعها الإنقاذي نجد آثاره عند أمم وشعوب سابقة لظهور الإسلام وما زالت أصداؤه تتشنّفها الآذان إلى يوم الناس هذا، لذلك رأينا لزامًا علينا القيام بعمليات إبحار في معتقدات القدامى وأصحاب الديانات السماوية حيث نجد تعدّدية للنبوة الإنقاذية وللمخلّصين لشعوب العالم وضعفائه.

فالتاريخ الإنساني مليء بالآلام والأحزان ومخضّب بدماء ودموع المقهورين حتى أنّ البعض اعتبر تلك التراجيديا العاشورائية عند المسلمين من الشيعة الاثني عشرية، ما هي إلا إعادة لتلك القلوب المقهورة التي سُلبت حقّ الاختيار بل حتّى حق الإحساس، وللعيون التي سُلبت حق الرؤية بل حتى حق البكاء، وللحناجر التي سُلبت حق الصراخ بل حتى حق الأنين،

تعيد لها حقّها السليب(*) فيما تحوّلت المعاناة التي تُثقل كاهل الإنسان إلى عزاء وسلوى ووعد وأمل بالشفاعة والإنقاذ.

إذن نجد المسيرة الإنسانية حافلة بالتناقضات وبالصراع بين الأضداد: بين الحرب والسلم، بين الخير والشر، بين الظلم والعدالة، وفي نهاية هذا السرداب الحالك الظلمة يلوح بصيص نور ليضيء درب المعذبين والمظلومين، وهذا حسب إبحارنا لم يكن حكرًا لأمة أو ديانة أو معتقد دون الآخر بل هو هاجس تعيشه الإنسانية، لذلك كان لكل مجموعة منقذ مخلّص لها من أتون الحروب ويردّ مظالمها وينصر ضعفها، فرسم هؤلاء صورة لمنقذهم تمازجت فيها أفكار وفلسفات وضعية وسماوية واختلطت الحقيقة التاريخية بالأسطورة.

وإطلالتنا هذه على الفكر المهدوي ليست لتبيان حقائق أو لتحقيق نصوص وثائقية أو لفصل ما هو تاريخي عن الأسطرة إنما لتوضيح وجهات نظر مختلفة في سياق تاريخي عام مبرزين الطرح المهدوي الإنقاذي لهذه المجموعات المجاورة لبلاد العرب، لتؤسّس لفكرة المهدي عند المسلمين، المهدي من ذرّية علي وفاطمة والمهدي العلوي والمهدي الهاشمي والسفياني والدجال والأعور الدجال... وكيف بنت كل مجموعة إسلامية فكرتها ورسمت صورة مهديها وكانت لنا وقفة مع تأويلات وتفسيرات النص القرآني وأدبيات الحديث النبوي من خلال تلك الأعمال لمبحرين كبار أمثال السيد الغريفي وإبراهيم الأميني، فقد كانت

(*) شريعتي (د. علي)، **الحسين وارث آدم**، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت/لبنان، 1425هـ/ 2004م، ص104.

عونًا ورافدًا. ولا يفوتنا هنا عمل الباحث العراقي مهدي فالح الذي أجرى عمليات حفر في تاريخ المنقذين عند أصحاب ثماني ديانات بشكل مقارن.

والذي نتلمّسه بين كل هذه الديانات مهما كانت اختلافاتها العقدية هو ذلك الحس البشائري لذلك اليوم الموعود لانتصار المظلومين وكيف جعلت من انتظارهم رافدًا ومنهلًا بالروح والأمل لغد مشرق.

وهذا العمل هو نتيجة عمليات إبحار في معتقدات لأقوام منسية ومجموعات ومنبثقات إسلامية أجمعت كلها على أن لهذا العالم بداية وبالطبع له نهاية، وسوف توازي هذه البداية ظهور المخلّص بقدرة خارقة لتخليص المؤمنين وخيرة البشر من الهلاك بعد أن يقتصّ لهم من جلّاديهم وظالميهم، وهذا ما رسمت ملامحه وصفاته المجموعات المذهبية في الإسلام المبكر حيث تطرّقت جميعها إلى ظروفه الصعبة وولادته الخوارقية وغيبته، وبالطبع كان من الضروري جدًّا التطرق إلى سلالته وانحداره من تلك الدماء النبوية التي رفعت من قدره وكيف عملت عديد المجموعات المذهبية الطموحة على الرفع من شأن مؤسّسيها وإدراجهم ضمن السلالة الشريفة.

لذلك ارتأيت أن يكون هذا العمل ببعده الأنثروبولوجي بحثًا في الفكر المهدوي ليس عند المسلمين فقط بل في بعده الفكري الإنساني... ولا يفوتني هنا التنويه بدور أستاذتي الفاضلة السيدة منيرة شابوتو الرمادي لملاحظاتها البنّاءة في مجال دراساتي لهذه المسائل المتعددة الأبعاد وكذلك لأعلام أفاضل أفادونا بدراساتهم وأعمالهم القيِّمة أمثال العالم المحقق السيد عبد الله الغريفي

ولأصدقاء وإخوة كانت لهم لمسات في تعديل ما اعوج وتقويم أي زيغ أو لحن لغوي أو لفكرة الغلاف التي لها وقعها الوجداني، ولأولئك الذين وقفوا إلى جانبنا في مراحل عدّة بدون كلل أو ملل...

محمد الناصر صدّيقي

تونس/ قفصة

13 ذي القعدة 1429هـ/ 11نوفمبر/تشرين الثاني 2008م

مدخل تمهيدي

إن المسألة التي نحن بصدد بحثها تقتضي أن نبدأ مقاربتها بهذا السؤال: «لماذا لا ينفك الإنسان عبر جميع الحضارات عن البحث عن المنقذ أو المخلص (Messie)؟» فما يمكن لنا ملاحظته في الديانات السماوية والوضعية «الوثنية» هو أننا نجدها جميعها تخبرنا بنهاية حتمية لهذا العالم، وستكون هذه النهاية مرتبطة بنزول المخلص أو المنتظر بواسطة قدرة إلهية[1] ودور هذا المخلص حسب ما يوصف به هو إنقاذ الأخيار من البشر بعد أن يحلّ الدمار ويصيب الفناء العالم كما جاء في ملحمة جلجامش[2] فتروى لهذا المخلص ولادة صعبة وحياته تتعرّض لمخاطر كثيرة وله علامات لا تتوّفر لدى البشر العاديّين[3] إضافة لكونه من

(1) المهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، دار رشد للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، 1981، ص426.

(2) مؤلف مجهول، أساطير من بلاد ما بين النهرين، (الخليقة، الطوفان جلجامش، وغيرها)، ترجمتها إلى الإنكليزية، ستيفاني دالي، نقلتها إلى العربية، د. نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، طI، 1997. **ملحمة جلجامش**، (اللوح الأول)، ص76؛ (انظر **أساطير بلاد ما بين النهرين**).

(3) الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت/لبنان، =

سلالة الملوك والأمراء[1] فجلجامش من سلسلة ملوك وزرادشت من سلالة ملوك، وموسى بن عمران أهله من المفضلين على العالمين[2] والرسول محمد ﷺ من أعرق أنساب قريش حسب ما ذكر علماء الأنساب والمؤرخون العرب[3] وقد مثلت فكرة البحث عن المنقذ والإيمان بحتمية مجيئه قاعدة الأمل التي استندت عليها عديد الدول[4]. فلم تخل الحضارة العربية الإسلامية من التعلق بمذهب شعاره رايات خراسان السوداء وقوامه دعوة للتعصب لأهل البيت سميت «الرضا من آل محمد» وقد أفضت إلى وصول بني العباس إلى الخلافة وكان العمل الحركي السري والتقيّة قد توّجا بإقامة الدولة الفاطمية وكذلك المحاولات التي قام بها الأمويون ومواليهم لإعادة أمجاد سلالتهم[5]. لكن في

= (د.ت)، جI، ص237. باقر (طه)، **مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد/العراق، 1956م، ص426.

(1) **ملحمة جلجامش**، اللوح الأول، ص76 - ص77، (انظر **أساطير بلاد ما بين النهرين**)؛ فرويد (سيغموند)، **موسى والتوحيد**، ترجمة د. جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت/لبنان، 1986، ص13.

(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتان: 33 ـ 34.

(3) ابن هشام، **سيرة النبي** ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1401هـ/ 1981م، جI، ص1 ـ 2.

(4) جولدزيهير، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمه إلى العربية الأساتذة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، طبع دار الكاتب المصري، القاهرة، 1946، ص192.

(5) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق فؤاد السيد، طبعة وزارة الإعلام الكويتية، 1984، ج III، ص64 ـ 65.

الحقيقة نجد أن الفكر الإنقاذي / المهدوي، كان سابقًا للإسلام وله جذور قديمة بعض الشيء في المناطق المتحضرة من الجزيرة العربية وقريبًا من مهد الإسلام، فعلى أرض البحث وجدنا إشارات تتصل بأفكار مهدوية إنقاذية خاصة بعد الاحتلال الحبشي لليمن علمًا أنه ليس بالغريب عن تلك البلاد أن تبعث فيها مثل هذه «الإيديولوجية» ذات الطابع الديني التبشيري، فعديد الثقافات تواجدت وانتشرت على أرضها كاليهودية والنصرانية[1] وحتى الإرث الإفريقي الذي يعود بجذوره للاحتكاك بين الثقافتين الإفريقية الحبشية والعربية اليمنية وكذلك تواجد الفرس العسكري والسياسي الذي توّج بإقامة محمية فارسية على أرض اليمن.

كل هذه الثقافات المحلية المتنوعة والخارجية الوافدة قد أثرت وتأثرت بالإرث الحضاري لكل أمة وبالتالي ساهمت في نشر الفكر الإنقاذي (المخلص المنتظر) فكان القحطاني والحميري المنتظر[2]. وامتدت هذه الفكرة إلى ما بعد قيام دول الخلافة فاليمانيون ما زالوا يأملون في بعث أمجاد بلادهم السعيدة وأن يتربعوا على عرش الحكم العربي كما فعلت قريش، «لا تقوم الساعة حتى يقفل القافل من رومية (روما)، ولا تقوم الساعة حتى

---

(1) ابن هشام، **السيرة**، جI، ص27 ـ 39. الأصفهاني (أبو الفرج علي ابن الحسين بن محمد)، **الأغاني**، طبعة دار الكتب المصرية عن نسخة بولاق المطبوعة في سنة 1285هـ، جXX، ص7 ـ 9.

(2) ابن الأثير (أبو الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ت 630هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المطبعة العثمانية، القاهرة/مصر، 1311هـ/ 1893 م، ج II، ص193.

يسوق الناس رجل من قحطان»[1]، فالأمل في الخلاص والانتصار هو السلاح المؤثر الذي يعزّز جانب المقهور الذليل بعد أن فترت فيه عزيمته ووهن رجاؤه في الخلاص فأصبح ينتقي الحلول، وينتظر من السماء أو أن يستجيب له القدر على المدى البعيد لينتصر للمغلوبين ويرد إليهم حريتهم المسلوبة ويهبه القدر قوى أدبية وروحية. وعن هذا الأمل نشأ الاعتقاد عند المقهورين في المخلص والمهدي وبأن الله سوف يبعثه في زمن معلوم لفترة معينة أو في آخر الزمان ليعيد السلام ويملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا. ويظهر هذا التصور في اطلاع متأن على تاريخ أمم مختلفة كالمصريين الذين اعتبروا الإسكندر الكبير «أمون» محررًا ومخلصًا ومنقذًا منتظرًا[2]، كما نجد هذا الاعتقاد عند قدماء البابليين والفرس واليونان، إلا أنه لم يظهر لأول مرة بجلاء، وببعض التدقيق والتفصيل إلا عند الفرس، فالفكرة المهدوية ذات أصول متجذرة في الشرق[3] «إن أول رجل تاريخي أو شبه تاريخي نادى بهذا هو زرادشت»[4]. ولم تكن العوامل الاجتماعية

---

(1) المقدسي، (مطهر بن طاهر، 507هـ)، **البدء والتاريخ**، المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، نشر وتحقيق كلمان حوار سنة 1907م، أعيد طبعة سنة 1962، طهران/ إيران 1962، ج II، ص183.

(2) المهدي (فالح)، المرجع نفسه، ص29.

(3) فان فلوتن (ج)، **السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات «المهدية» في ظل خلافة بني أمية**، ترجمة د. إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، 1996، ص97 ـ 102.

(4) زرادشت الحكيم، **ترانيم زرادشت**، ترجمة وتقديم د. فليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
=

والسياسية غريبة عن انبثاق الاعتقاد بالمخلص بل كان دورها محددًا، فالأوضاع الاقتصادية وأحوال البيئة والظروف السياسية من العوامل المؤثرة في هذا الشأن فمن تفاعلها توفرت الظروف المهيأة لتوجيه غالبية الناس نحو اعتناق هذه الفكرة(1). إذن نتبين في العقلية الإنسانية على اختلاف الحضارات ثوابت يمكن اختزالها في هذا النزوع إلى الاعتقاد بما يتجاوز العقل وبما يخالف القوانين الموضوعية للظواهر وهو اعتقاد يجعل الشعوب منشدّة إلى «آت/المنتظر» وإلى رجاء تمثّله فكرة مثالية بها يقدر

= (الترنيمة: 48 الآية: 121)، ص42. جوزي (بندلي)، «السفياني»، **مجلة المقتطف**، ج I، 1 يونيو/حزيران 1933م / 8 صفر 1352هـ، ص48.

(1) من ذلك أن المنصور العباسي أطلق على ابنه اسم المهدي، لدحض أيّ تنبّؤ بالمهدي الشيعي من أحفاد الرسول. ففي إحدى الروايات المنسوبة لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، أنه قال لمسلم بن قتيبة: لقد خرج محمد بن عبد الله (المعروف بمحمد النفس الزكية) وتسمى بالمهدي ووالله ما هو به، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية، ولكنني تيمنت به وتفاءلت به. «أبو فرج الأصفهاني، **مقاتل الطالبيين**، شرح وتحقيق السيد أحمد صهر، منشورات مؤسسة الأعلى، بيروت/لبنان، 1987م/ 1408هـ، ص218؛ وكذلك قصة السفياني الذي ينتظره أنصاره وموالي الأمويين فهو من سوف يدمّر بغداد ويقتل 300 كبش (عباسي) من ولد بني العباس وينتقم منهم أبشع انتقام، الخطيب البغدادي (أبي بكر بن أحمد)، **تاريخ بغداد**، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة، 1931، ج I، ص38 ـ 40. الديوه جي (سعيد)، **اليزيدية**، نشر المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1393هـ/ 1973م، ص36.

على تغيير الواقع فتحول الشرور فيه إلى خير محض لأنصارهم ودمار وخراب لأعدائهم[1]. وهذا ما نجده في تلك الأدبيات التي تناولت مواضيع عصر الغيبة والقائم المنتظر ودور الظهور وعلامات ذلك الظهور حسب الاثني عشرية وقوع خسفة لأعداء المهدي حين ظهوره[2]. ولهذا المنقذ المنتظر صفات خاصة خارقة ورد ذكرها في كل الأديان والحضارات، فكهنة مصر القديمة قد لعبوا دورًا حاسمًا في التنبؤ بعودة المنقذ الذي يتمثل بفيضان النيل[3] وفي الديانة الهندوسية تمثل أرقى أشكال الإنقاذ في التناسخ بالإله «فشنوا»، وفي الديانة اليهودية برز المنقذ كقوّة محاربة لقتل أعداء بني إسرائيل، كما سوف يمرّ معنا بمعنى آخر أن هنالك العديد من العوامل سواء السياسية مثل تفشي المظالم وغيرها أو البيئية والجغرافية والاقتصادية والبيولوجية التي لها أثرها الفعّال في وجود الفكرة وتنوعها. المهم في ذلك أنّ هذه المبادئ قد آمنت بها الشعوب واقتنعت بها في فترة من فترات

(1) فان فلوتن (ج)، المرجع نفسه، ص108، هناك تأثيرات إسلامية ومسيحية عند الأقليات العرقية المسحوقة بالقارة الأمريكية تؤمن برجعة منقذ يخلصهم من الرأس الأبيض الذي استعبدهم، فمن بين الحركات نجد حركة الآسيويين تضمّ فئة من الزنوج وهي تنتظر «منقذًا» يمحق الرأس الأبيض في حرب مقدسة. الكمبي (د.حاتم)، «الحركات الاجتماعية التي تدور حول منقذ منتظر»، **مجلة الأستاذ**، المجلد III، عدد 1 ـ 2، سنة 1965 ـ 1966، ص209.

(2) السيد ابن طاوس (ت644هـ)، **الملاحم والفتن: في ظهور الغائب المنتظر (عج)**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1423هـ/ 2003م، ص44.

(3) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص6.

تاريخها الإنساني، ولا يزال البعض الآخر يؤمن بها كجزء أساسي في عقيدتها[1]. إذن فالعقلية الإنسانية يغلب عليها تلقائيتها وذلك بقبولها ما يردها دون تمحيص ولا يتسنى النقد إلا للبعض، وفي غمار هذا البحث الذي نرسم به الطريق لتتبع مراحل الدعوة القرمطية وتطوراتها. كان لا بدّ لنا من إطلالة على الفكر الإنقاذي المهدوي عند أهم الشعوب ذات البصمات الحضارية في الشرق الأدنى القديم، خاصة وأن ما وقع بين أيدينا من الكتب السماوية المقدسة وآثار الأقدمين ومقولات الحكماء والمتنبئين يصبّ في خانة تلك العقدية المهدوية التي نجدها حيّة في وجدان وحياة عديد الديانات والأمم. وهذا ما يدفعنا للإبحار في هذا الموضوع عند تلك الشعوب ذات الآثار الجلية والثقافات الحية التي بقيت تأثيراتها ملموسة في العقائد الإسلامية.

---

(1) فقد كثرت الدراسات والبحوث في العقود الأخيرة حول هذا الموضوع وحول تفسير ذلك، منها ما كتب حول عودة المسيح، ويوم «الرب العظيم» المسمّى «معركة هرمجدون» وكيف تبنّت تيارات سياسية جديدة في الغرب هذا الفكر الإنقاذي لدعم أيديولوجياتها وما تطرحه المسيحية «المتطرفة» في الولايات المتحدة من تجميع لليهود على أرض فلسطين وبعد ذلك سوف يظهر المسيح باعتباره مخلصًا، راجع نوستراداموس (مايكل دي نوسترادموس ت1566م)، **تنبؤات نوسترادموس**، (مع دراسة إسلامية تحليلية في التاريخ والمستقبل للدكتور شرف الدين الأعرجي)، دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت/ لبنان، 1427هـ/ 2006م. السقا (أحمد أحمد علي)، **يوم الرّبّ العظيم المسمّى: معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقرآن**، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة (طII)، 2004م؛ داود (محمد عيسى)، **مهدي منتظر صناعة إسرائيلية**، مدبولي الصغير، القاهرة/ مصر، 2005م.

. I .

المنقذ في الحضارات القديمـــة

وهنا لا يفوتنا التذكير بأن الروح الشرقية تصبو دائمًا إلى ما له علاقة بالتنبؤ وكشف حجب الغيب وأمور المستقبل[1]، فعقيدة «المخلص» أو «المنقذ» مناسبة للطبيعة الشرقية وناجمة عن طبائع الاستبداد الذي مثّله الملوك «أنصاف الآلهة» وهذا نلتمسه عند أصحاب الحضارات القديمة والأمم الكتابية.

أ ـ عند قدماء الرافديين:

لعل أرض الرافدين كانت تلك البيئة التي تبلور فيها الفكر الإنقاذي والخلاص، ففي تلك الأرض قامت أوائل الشرائع وتبلورت فكرة الدولة وهناك اكتشفت الكتابة وفيها كان السبي البابلي لليهود حيث كتبت شرائع الموسوية بما تركوه من كتابات دينية تشتمل على تحليل ديني وتفسير لاهوتي لأحداث التاريخ آنذاك[2].

ففي الديانات الرسمية لمعظم حضارات الشرق الأدنى

(1) فإن فلوتن (ج)، **السيطرة العربية**، ص97.

(2) أحمد (د. محمد خليفة حسن)، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، 1998م، ص206 ـ ص207.

وحوض المتوسط لا نعثر منذ بدايات عصور الكتابة على اعتقاد واضح في وجود حياة ثانية وخلاص إلى عالم أفضل، فالموت كان نهاية الحياة الفردية، وأرواح البشر دون تمييز تذهب إلى العالم الأسفل، لتبقى هناك في حالة من الوجود الممضي الثقيل، في جو مظلم مغبر ساكن وزمن راكد لا جريان فيه ولا تغيير. هذه كانت حال العالم الأسفل في بلاد الرافدين الذي أطلق عليه السومريون والبابليون اسم «كور»[1] إلى جانب هذا المعتقد الرسمي، نجد معتقدات الخلاص والنشور إلى عالم آخر قائمة في قلب الديانات الرافدية العشتارية وقد بقيت هذه المعتقدات جزءًا من ديانات الخصب، تحافظ وتمارس طقوسها حلقات ضيقة داخل الديانة نفسها، إلى أن استقلت هذه الحلقات مشكّلة ديانات سريّة خاصة بها، وهي ديانات الأسرار التي شاعت في الشرق القديم والعالم المتوسطي خلال القرون القليلة السابقة لميلاد السيد المسيح، ورغم أن هذه الديانات قد تركزّت حول آلهة الخصب ذاتها إلا أنها قد جعلت من فكرة الخلاص مركزًا لمعتقدها وطقسها، مبتعدة عن معتقد الخصب الذي نشأت عنه، وتحوّل إله الخصب إلى مخلّص للبشر من عالم المادّة الفاني إلى عالم الرّوح الباقي[2]. وتحوّلت طقوس الخصب السنوية إلى طقوس سريّة مقتصرة على فئة قليلة تهدف إلى تخليص أتباعها من الموت عن طريق التوحّد بالإله الذي عرف الموت وانتصر عليه.

---

(1) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص381.
(2) المصدر نفسه، ص382.

ففي الوقت الذي كان يحتفل فيه أتباع ديانات الخصب ببعث روح الخصوبة لتدفع عنهم جوع عام آخر، كان أتباع ديانات الخلاص يحتفلون ببعث المخلص الذي يفتح بوابة الأبدية وهذا ما يتلمّسه المبحر في ثنايا «ملحمة جلجامش» الرّافدية في بحث الإنسان عن العدالة باعتبار ذلك من حق كل إنسان، وأخذت هذه الأفكار تتبلور ثم ظهرت في شرائع حمورابي بحيث أضحى الناس يشعرون أن العدالة حقّ مشروع لا منّة شخصية[1] غير أن هذا الرأي كان لا بدّ له من أن يناقض نظرة الناس القائمة حينئذ إلى الدنيا فبرزت إلى الوجود مشكلات أساسية أهمها تبرير الموت والثورة عليه في صورة سخط مكتوم وإحساس دفين بالظلم، وهذا الإحساس منشؤه الفكرة الجديدة عن المطالبة بالعدالة في الكون، فالموت شرّ من كل عقاب، بل هو العقاب الأكبر ونجد معالجة لذلك في ملحمة جلجامش[2] حيث مثل صاحب هذه الملحمة صورة المنقذ المخلّص الباحث عن الخلود البشري في صور مختلفة.

إذن إنّ فكرة الخلاص الإنقاذي ارتسمت ملامحها الأولى في الأدبيات الرافدية، وكانت بذرتها الأولى قد انبثقت من آلهة الخصب وما ترمز إليه تلك السنابل الذهبية، فكلّها رموز لولادة

---

(1) المرزوقي (د. جمال)، **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**، دار الآفاق العربية، القاهرة/ مصر، 1421هـ/ 2001م، ص198.

(2) طه (باقر)، «ملحمة جلجامش» عرَّبها الدكتور سامي سعيد الأحمد، في **مجلة التراث الشعبي البغدادية**، الأعداد VI لعام 1976م، والعددين VII و VIII، 1977م.

آلهة الخصب في ظلام العالم الأسفل، وقد عاضدتهم وآزرتهم آلهة الخلاص[1].

وقد تبلورت عقيدة الخلاص عند الرافديين بعد رحلات بحث وتطواف سواء تلك التي جسّمها الملك الإله جلجامش في ملحمته أو تلك الشرائع البابلية التي عمل حمورابي على تجسيدها في حياة وأعراق معاصريه تجسيمًا لفكرة العدالة وما ترمز إليه من معانٍ سامية. لذلك كانت ديانات وعقائد الأسرار عند الرافديين ذات مجهود جماعي، فكان التكاتف الفكري الذي قرّبت معانيه من ولادة جديدة لجوهر الروح الذهبي الذي يبقى خالدًا لا يفنى[2].

وتبقى معلوماتنا ومعارفنا عن ديانات الأسرار الرافدية محدودة مقارنة بأهمية تلك الديانات في الحياة الروحية للحضارات الكبرى وشيوعها الممتد، ومردّ ذلك طبيعتها السرية وباطنيتها وبما أنها قد نشأت أصلًا في منطقة الهلال الخصيب وامتدّت لتشمل العالم المتوّسطي[3]، فإنّ مقاربتنا للخلاص الرافدي قد استقيناها من الأدبيات المتوسطية وخاصة تلك القريبة في الجغرافيا والتاريخ وبشكل خاص اليونان، إذن ما تميّزت به ديانات الخلاص والأسرار هو طقوس العبور «Initiation»

---

(1) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص382.

(2) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص382.

(3) Schmitt. (Paul), the Ancient Mysteries and their transformation, in «**The Mysteries**» edited by J. Campbell, Princeton. N.Y, 1978, P95.

المفروضة على المريد الجديد الذي يَستعدّ للانضمام إلى حلقة الجماعة الناجية[1].

وهذه الطقوس تبدأ بنوع من التطهير المادي الذي يعكس استعداد المريد لتطهير روحه من كل ما علق بها من مراحل حياته السابقة وتجهيزها للمرحلة الجديدة، يلي ذلك طقس الموت الرمزي والبعث، حيث يتمّ تمثيل موت المريد ثم إفاقته من الموت وذلك كناية عن فناء نفسه القديمة وانتعاش نفسه الجديدة المستعدة لتقبّل الخلاص وهنا تنتهي مرحلة العبور الأولى إلى أسرار الخلاص[2]. هذه الأسرار ليست بتعاليم دينية وعبادات، وطقوسها ليست غاية بحدّ ذاتها بل وسيلة لبلوغ الهدف الأساسي وهو الخلاص. حيث تقدم لنا آلهة الإغريق «ديمترا» نموذجًا عن الأسرار العشتارية الرافدية القديمة، وقد انحدرت أسرار ديمترا من فترات موغلة في القدم، وتشير التراتيل والملاحم إلى أن أسرار هذه الآلهة قد أسّستها هي بنفسها وأن المشاركين في تلك الأسرار هم المباركون الذين تفتح هذه الطقوس أمامهم بوابة الخلود[3]. وقد وجدنا في النصوص الدينية الديميترية القريبة من العشتارية الرافدية أن الآلهة ديمترا وهبت للبشرية شيئين عندما حلّت في مقرّ عبادتها الأول نتاج الحقل الذي حوّل الإنسان عن حال الحيوان، والثاني طقوس الأسرار التي جعلتنا ننظر بأمل إلى

(1) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص282 ـ ص283.

(2) السواح (فراس)، المصدر السابق نفسه، ص383.

(3) Otto. (Walter), the Meaning of Eleusinian Mysteries, in «**the Mysteries**», Edited by J. Campbell, Princeton, N.Y, 1978, P14.

نهاية الحياة[1] إذن فمعجزة نمو النبات من باطن الأرض وتناوب الدورة الزراعية بين الموت والحياة ليست إلا نموذجًا للمعجزة المقبلة، معجزة بعث الأرواح بعد الموت ورفعها إلى العوالم النورانية، لقد أخذ الإنسان ثمار الأرض من يد الموت[2].

هذا عن قراءتنا لعقائد الخلاص الرافدي وكيف تطوّرت قراءتنا المفاهيمية لمعانيه الرمزية، وتأثيراتها في الديانات الشمولية، فقصة الابن المخلص تعود بجذورها إلى الأدبيات الرافدية، وتدور حول حلول الإله الابن محل الأمّ الكبرى كبطل رئيسي في الخصب وكبطل رئيسي في الخلاص، وصار الإله الذي دفعت به «إنانا» إلى العالم الأسفل من أجل ضمان استمرار الدورة الزراعية، إلهًا مخلصًا للبشر من ربقة الموت.

لقد بذلت «عشتار» ابنها الوحيد من أجل خلاص العالم، ولسوف يستمّر المعنى السرّي لهذه الأسطورة حيًّا في ديانات الأسرار ويدخل عنصرًا أساسيًّا في الديانة المسيحية التي يتركّز معتقدها وطقسها على هذه الفكرة حيث نقرأ في الإنجيل: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[3].

أمّا في الإسلام فإننا نتلمس ذلك بمقتل الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد النبيّ محمد على أرض كربلاء حيث ارتبطت هذه

---

(1) Otto. (Walter), Ibid, P15.

(2) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص383.

(3) **الكتاب المقدس، العهد الجديد، «إنجيل يوحنا»**، (III : 16).

الحادثة المؤلمة في التاريخ الأموي بتاريخ الشهادة والحزن، فلا توجد أرض مدماة مثل أرض كربلاء، ولم يحزن شعب في التاريخ الإنساني على بطله مثل حزن المسلمين الشيعة على الإمام الحسين، وقد تحولت مراسيم العزاء الحسيني في عاشوراء في أبعادها الاجتماعية والسياسية والفولكلورية إلى شكل من أشكال الرفض والاحتجاج وضرب من ضروب المقاومة الخفية ضدّ الرؤية الإيديولوجية الرسمية التي نمت في واقع مرفوض كان سببًا في نشأتها وانتشارها، بعد أن اضطر البعض إلى كبتها.

هكذا أصبح الجلد الذاتي عند البعض عملًا بسيطًا بالمقارنة مع حجم المأساة الدامية، فيما تحولت المعاناة التي تُثقل كاهل الإنسان المحاصر إلى عزاء وسلوى ووعد وأمل بالشفاعة والإنقاذ. ويُعدّ الشيعة أول من أدخل فكرة الإنقاذ الإلهي في الإسلام وأول من ربطها جدليًا بتراجيديا كربلاء. ورأوا أنّ حاملي «الشفاعة» عند الله هم النبيّ والأئمة من آل بيته من بعده الذين يحملون «اللطف الإلهي» وأن الله كان قد اصطفاهم من الخلق، من أجل إنقاذ البشرية يوم القيامة عن طريق الولاء لهم والشفاعة بواسطتهم. إن تراجيديا الألم التي بدأت مع مقتل الحسين في كربلاء وإخفاق شيعة علي على مرّ العصور في تحقيق مبادئهم وطموحاتهم اقترنت بفكرة الألم المنقذ في الواقع العملي عن طريق التضحية والشهادة[1]. لقد كانت مأثرة الابن المخلص في

(1) الحيدري (إبراهيم)، **تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي**، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، 2002م/ 1423هـ، ص307 ـ 308.

الإسلام «الحسين أنه تحمل وأهل بيته وصحبه محنًا وآلامًا عسيرة، وقد وجد بأنه لا خلاص منها إلا بالتضحية والفداء. هكذا ارتبطت «ثورة الحسين» وشخصيته ومبادئه وبطولته وتضحيته، بالألم والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائي، وتظهر شفاعة الحسين لشيعته ومحبيه يوم القيامة بوضوح وبأشكال مختلفة ومتنوعة في العزاء الحسيني وكذلك في الأدعية والزيارات، وبحسب الأحاديث النبوية التي يؤكد عليها الشيعة فإن النبيّ محمد قال لأم سلمة، إحدى زوجاته بأن للحسين منزلة عالية عند الله لا يصل إليها أي مخلوق، حيث يشفع لشيعته يوم القيامة ويكون المهدي من ولده[1]

وكان الحسين قد عرّج على قبر جدّه النبي محمد بالمدينة المنورة قبل أن يتوجه مع أهله وأصحابه إلى أرض كربلاء، وقال «كيف أنسى شيعتي (يوم القيامة) وقد ضحيت بنفسي من أجلهم»[2] لذلك اعتبر الحسين وآله من سفن النجاة[3].

ومن جانب آخر فإننا نلاحظ بأن الاعتقاد باستشهاد الحسين وتضحيته بنفسه بإرادته واختياره إنمّا هو من أجل تثبيت عقيدته وترسيخها، والثورة على الظلم والاستبداد والتخلص من حكم يزيد بن معاوية الجائر، وبالتالي إنقاذ المسلمين منه، وقد عبّر

(1) الأمين (السيد محسن)، **المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية**، النجف/العراق، 1953م، ج1، ص53.

(2) صبحي (أحمد محمود)، **نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية**، القاهرة/مصر، 1969م، ص336.

(3) الحيدري (إبراهيم)، **تراجيديا كربلاء**، ص309.

الشاعر الشيعي الشيخ محسن أبو المحب (ت1305هـ) عن هذا المعنى بالبيت التالي:

إن كان دين محمد لم يستقم

إلا بقتلي فيا سيوف خذيني[1]

هذا التصور الدرامي يعرض الحسين كمنقذ لأمة جدّه «النبيّ محمّد» ومدافع عنيد عنها وحام لها باختياره، وحيث لا يستقيم الإسلام إلا بقتله، وهكذا كتب الحسين قدره بدم الشهادة والفداء، ذلك الاعتقاد الذي نجده أيضًا في كثير من الأحاديث والأخبار والروايات، التي أصبحت منذ نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، دافعًا ومحركًا لنمو وانتشار عقيدة المنقذ الإلهي، التي هي محور مهم في المعتقد الشيعي والتي تبلورت وأخذت فيما بعد صورًا طوباوية وأبعادًا متعددة[2].

من ذلك القصة التي تتحدث عن النبيّ إبراهيم وابنه إسماعيل فحينما عزم النبيّ إبراهيم على تقديم ابنه البكر إسماعيل في محراب الكعبة ظهر له «جبرائيل» فجأة وأخبره بإرادة الله، وهي أن يضحي بشاة بدل تضحيته بابنه إسماعيل، لأن الحسين سوف يضحي بنفسه ويستشهد في أرض كربلاء من أجل إنقاذ البشرية[3] وهكذا تضمن مقتل الحسين حفيد النبيّ معنى الجزاء والطاعة والإنقاذ مثل تضحية السيد المسيح التي نقرؤها في

---

(1) الطعمة (سليمان هادي)، **تراث كربلاء**، بيروت/لبنان، 1983م، ص156.

(2) الحيدري (إبراهيم)، **تراجيديا كربلاء**، ص309 ـ ص310.

(3) Strothmann. (R), «Taziya,» in **Enzyklopädie des Islam, Leipzig,** 934, Bd IV, P770.

العقيدة المسيحية والنبيّ إبراهيم وكل قصص الفداء والخلاص التي نقرؤها عند أصحاب الديانات السماوية نجدها امتدادًا وتواصلًا لفكرة الخلاص الرافدي.

حيث أخذ الإله الابن بالاستقلال تدريجيًّا عن الأم الكبرى في ديانات الخلاص حتى صار في بعضها البطل الوحيد يقود ملحمة الخلاص دون أمه عشتار. ومن أرض الرافدين تطوّرت معتقدات الخلاص التي عمّت الإمبراطورية الرومانية والعالم اليوناني بين سنة 200ق.م وسنة 200م[1] ثم كان هذا الخلاص والإنقاذ من الأسس العقائدية للديانات الكبرى ذات الكتب السماوية.

ب ـ المنقذ عند قدماء المصريين:

وإذا انتقلنا إلى مصر حيث كان لها الدور الهام في حفظ واحتواء التراث الإسماعيلي الفاطمي وشكلت أرضهم مقرًّا سياسيًّا ودعويًّا للفاطميين، ونشأت على تلك الأرض مفاهيم وثقافة متطوّرة عن الخلاص والإنقاذ شكلت الأساس العقائدي لديانات ومذاهب إسلامية عدّة لاحظنا أن العقائد المصرية القديمة تجسّم فيها الفكر الإنقاذي بصور أكثر وضوحًا من بلاد الرافدين، ومع ذلك يجب أن نذكّر بأن قدماء المصريين كانوا على احتكاك كبير وصراع مع ممالك بلاد الرافدين لفترات متعددة[2] وقد وجدنا في

(1) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص385 ـ 386.

(2) فرزات (د. محمد حرب)، **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر القديمة وحضارتها**، منشورات جامعة دمشق، 1412هـ/ 1992م، ص237 ـ 246.

الديانة المصرية القديمة أوضح مثال على معتقدات الخلاص الشرقية فقد ظهرت في كتابات الحكماء المصريين أولى بوادر عقيدة المنقذ أو المخلص «ومدارها الإيمان بظهور شخصية قدسية على الأرض تعيد إلى الأرض السلام وتقرّ العدالة بعد أن مُلئت الأرض جورًا وفسادًا وظلمًا، ولعل النيل مرجع هذه العقيدة لأنه يعود إمحالًا ويؤوب جالبًا معه الخيرات والبركات بعد جوع وعطش»[1].

وإذا ما نظرنا إلى الكتابات الدينية المصرية بصورة عامة وقفنا معجبين تجاه اهتمامهم الكبير بالكون وتخيلهم الواسع لكثير من ظواهره وتشبيههم لها بالكائنات المألوفة التي يرونها كل يوم في بيئتهم، وفسّروا العديد من الظواهر تفسيرًا غريبًا جدًّا إذا قارناه بتفسيرنا الحالي للظواهر الكونية. فقد ذهب خيالهم إلى أن يتصوروا السماء على هيئة بقرة وربّما وجدوا مقارنة بين البقرة والسماء، فالسماء تعطي الماء والبقرة تعطي اللبن وبالتالي لها صلة بالعالم الآخر وتمثل رمزًا للرغبة في الوجود المستمر، وقد جسّموا الإله في صندوق خشبي بشكل البقرة كي يتمكن من الميلاد مرّة أخرى من رحم البقرة السماوية[2].

وفي بداية التاريخ المصري كان الخلاص وقفًا على الملك الذي يعتبر تجسيدًا بشريًا للأوزوريس، وكانت قصّة حياة الإله

---

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص11.

(2) لوركر (مانفرد)، **معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة**، ترجمة صلاح الدين رمضان، ومراجعة الدكتور محمود ماهر، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة/ مصر، 2000م، ص79.

القصيرة وآلامه وموته وبعثه تتلى من قبل الملك شخصيًّا لضمان خلاصه وخلوده من دون بقية البشر. وما لبث بعض الأفراد من الأسرة الملكية ومن علّية القوم أن شاركوا في ذلك الطقس، فاتسعت دائرة الناجين وتأسست ديانة أوزوريس السريّة التي بقيت في توسع مستمر حتى شملت أخيرًا كلّ عابد صادق راغب في خلاص نفسه[1]. وكان المحظوظ بين الناس من يجد له قطعة صغيرة من الأرض يحفرها قبرًا له في الأرض المقدسة التي تضمّ قبر الإله وهيكله المقدس، فيشارك الإله بعثه وخلوده[2]. وتشير عادات الدفن إلى الأمل الذي يعقده الميّت على أوزوريس الذي سيبعثه كما انبعث هو في سنابل القمح الجديدة، ففي كثير من القبور تمّ العثور على دمى مصنوعة من القماش محشوة بحبوب القمح موضوعة في تابوت خشبي أو فخاري قرب تابوت المتوفّى. كما عُثر على نوع آخر من الدمى مصنوع وجهها من الشمع الأخضر المحشو بحبوب القمح. وقد توضع بين ساقي المومياء دمى من طينة زرعت فيها حبوب قمح قد انتشت وبرزت سيقانها[3] وإلى جانب عادات الدفن هذه، تزوّدنا الصلوات والأدعية الأوزيريسية من كتاب الموتى المصري، بفكرة عن أصول معتقد الخلاص الأوزيريسي[4].

---

(1) Harding. (M. Esther), **Woman's Mysteries**, Harper and Row, N.Y, 1976, P176.

(2) Viaud. (J), «Egyptian Mythalogy», in **Larouss Encyclopedia** of Mythology, Hamlyn London. 1977, P17.

(3) Frazer. (James), the **Golden Bough,** Macmillan, N.Y 1971, P437-438.

(4) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص390.

ورغم أنّ ديانة الخلاص الأوزيريسية قد صارت مفتوحة أخيرًا أمام الجميع، فإن هناك أدلّة كثيرة على أن الأسرار القديمة قد حافظت على استمرارها ضمن تيّار الأوزيريسية العام. ذلك أن الخلاص الذي تقدمه طقوس الأسرار يقود أصحابه نحو درجات أعلى من مجرد الاستمرار في حياة ما بعد القبر. والأسرار الأوزيريسية في ذلك إنما تشبه طرائق التصّوف التي تقدمها لأتباعها مفتاحًا لعوالم لا يصل إليها المتعبّد العادي الذي يقصد بعبادته مجرّد شراء مكان في الجنّة السماوية[1] هذا عن بدايات التبلور العقائدي لفكرة المخلص المنتظر عند قدماء المصريين، أما تجسيداتها فقد تمّت على مراحل مختلفة من تاريخ مصر القديم، حيث كان لكهنة المعابد دور كبير في الحياة الدينية وفي الحياة الثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية، ولكي ندرك خطورة الدور الذي قاموا به يكفي أن نعرف حدّة مقاومتهم للإصلاح الديني، الذي قام به أمنحوتب الرابع (أخناتون) لتنقية الديانة وطقوسها بتأسيس عبادة الشمس وحدها ودعوة الإله آتون كإله وحيد، وهو عمل من أعظم الأعمال التي وقعت في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، ولم يكن من السهل التخلص من الآلهة الكبيرة والأساليب السحرية التقليدية وخاصة في عبادتي آمون ورع اللتين اتحدتا منذ عهد الأسرة الثانية عشرة باسم «آمون ـ رع» ثم صارت

---

(1) Nagel. (George), the Mysteries of Osiris in: «**The Mysteries**», Edited by J. Campbell, Prinction. N.Y, 1978, P132; السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص390.

السيادة للإله آمون لما حقّقته طيبة وهي مركز عبادته من انتصارات سياسية انعكست على معتقدات الناس الدينية.

وقد اعتقد الناس بأنه هو الإله الخالق وأنه موحّد الكون ودعم هذا الاعتقاد تعاليم الكهنة والطقوس وسيطرة الاحتفالات الدينية العامة على الحياة اليومية. وقد ازداد نفوذ الكهنة الذين اغتنوا وزادت ثرواتهم من كثرة الأعطيات والهبات والتقديمات. ويظهر أنهم صاروا يمثلون خطرًا على سلطة الفرعون نفسه، وهذا ما يفسّر الاصطدام بهم منذ عهد تحتموس الرابع وأمنحوتب الثالث. أما ما حرّض أمنحوتب الرابع الذي ورث الحكم بعد أبيه فهي أساليب الكهنة في استغلال الكاهنات في هيكل آمون واتجارهم بالسحر والرقى والتعاويذ لسيطرتهم على الحكم باسم نبؤات آمون المختلفة وكان الملك الشاب يرفض وينتقد أعمال أولئك الكهنة ويستهجنها[1].

لقد ثار الفرعون الشاب على الفساد وأعلن في شجاعة أن جميع الآلهة وما في الديانات المعروفة آنذاك من احتفالات وطقوس كلها باطلة وأن ليس للعالم إلا إله واحد هو آمون، الذي رمز إليه بقرص الشمس ذي الأشعة الممتدة لتبارك الأرض والمؤمنين. واستبدل الملك اسمه الذي يحمل اسم «آمون» باسم آخر «أخناتون» أي «آتون يرضى». واستعان ببعض الترانيم القديمة، وبعض أناشيد في التوحيد نشرت أيام أبيه، فألّف منها

(1) فرزات (د. محمد حرب)، **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، ص199.

أناشيد وتسابيح في تمجيد آتون الذي يصفه بأنه مبدأ الحياة يشمل الأرض وتحيط أشعته بها وبحبّها، وموجد النهار، وهو الذي يخيّم الليل بغيابه ويدعو «أخناتون» إلهه خالق النسل في الإنسان وواهب الحياة للجنين في جسم أمه. وهو عنده الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه خالق كل شيء، ورب الأبدية، رب الرحمة والسلام.

«أنت وحدك تستطع في صورة آتون الحي، تطلع وتسطع وتبتعد وتعود، إنك تصنع آلاف الأشكال منك أنت وحدك، إنك في قلبي مّا من أحد يعرفك إلا ابنك أخناتون، لقد جعلته حكيمًا بتدبيرك وقوتك»(1). ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه القصيدة، هي أول شرح لعقيدة التوحيد وقد قيلت قبل النبيّ آشعيا بسبعمائة عام، وأنّ ما بين هذا النشيد وبين المزمور «104» من مزامير داود(2) من تشابه ما لا يدع مجالًا للشك فيما كان للأدب المصري من أثر في الشاعر العبراني(3). وابتعد الملك المصلح وأسرته وحاشيته عن طيبة مقرّ عبادة «آمون» وقام في عاصمته «أخناتون» وهي تل «العمارنة» التي بُنيت فيها القصور البسيطة والمعابد المكشوفة لعبادة آتون رب الأمم كلها الذي يرى فيها الإله الحق.

وكانت عبادة «آتون» بسيطة فانتشرت في مصر والمناطق الأخرى المحكومة ولكن هذا النجاح كان موقتًا، إذ كان مآل هذه

(1) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص200.
(2) **الكتاب المقدّس، مزامير داود (المزمور: 104).**
(3) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص200.

المحاولة الإصلاحية الفشل غير أنّ انقلاب «أخناتون» كان من أكبر الانقلابات في العالم القديم، ويقدر المؤرخون أهميته بصورة مختلفة حيث يرون فيه أنه نبّي وآخرون استخفوا به وقالوا إنّه مريض. ومبادئ دعوته هي أقرب شيء إلى التوحيد بالنسبة لمفاهيم ذلك العصر[1].

ولم تكن ديانة تل العمارنة متسامحة تجاه العقائد الأخرى، فهي لم تكن من نوع التوحيد بالنسبة لجماعة فقط دون غيرهم فالإله كان ينظر إليه على أنه إله العالم[2]. ويقرّ «برستد» Braested بوجود تأثير لديانة أخناتون على عقائد التوحيد التي ظهرت في سورية وفلسطين فيما بعد[3]. أمّا «ولسن» فيرى أن العصر كان دوليًا وأن فكرة التوحيد بأشكال ودرجات متفاوتة كانت شائعة والواقع أن التفكير الديني كان عميقًا وقديمًا في مصر وأن التأثير المتبادل للمعتقدات الدينية في سورية وفلسطين من جهة أخرى قديم جدًّا[4].

لذلك عدّ «أخناتون» منقذًا لديانة «آتون» التوحيدية وأنهى بذلك دور الآلهة الآخرين إذ كانت ـ أي الديانة الجديدة ـ تركيزًا لنظر المتعبّد في «إله الشمس» واعتباره هو الخالق لهذا الوجود،

(1) برستد (جيمس هنري)، **فجر الضمير**، ترجمة سليم حسن، القاهرة/ مصر، 1956م، ص304.

(2) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص201.

(3) **فجر الضمير**، ص303.

(4) ولسن (جون)، **الحضارة المصرية**، ترجمة أحمد فخري، القاهرة/ مصر، 1956م، ص263.

وتعتبر ثورته الدينية هذه بداية شبه توحيدية للديانات السماوية ونخصّ بالذكر منها اليهودية[1].

إذن العقيدة الجديدة تمثل مستوى من النضج مرموقًا حقًّا من عبادة للآلهة برؤوس حيوانات أو على شكل إنسان إلى عبادة إله واحد أثيري الهيئة. وهذا ما يدّل دلالة واضحة على أن بعض المتنورين في المجتمع المصري القديم استطاعوا تفسير كثير من الظواهر الطبيعية ممّا أدّى بهم إلى نكران هذا العدد الكبير من الآلهة وحصرها في إله واحد يقبع خلف السماء يتمثل في الشمس مانحة النور والعطاء[2].

بقي أن نذكر أن هناك صفة واحدة يتمتع بها «أخناتون» مع بقية المنقذين كونه ملكًا أو فرعونًا إذ سنلاحظ فيما بعد أنّ كلّ المنقذين إمّا أن يكونوا ملوكًا أو أمراء أو من سلالة الملوك الأمراء.

وفي ختام إبحارنا مع شخصية المنقذ المصري القديم «الفرعون»: «أخناتون» الذي اعُتبر من أصحاب الشخصيات العميقة التكوين نشير إلى أنه «أعظم المتصوّفين في التاريخ، غير أنه كان ينقصه الإحساس الكامل بالواقع ممّا جعله يخفق في أن يجمع بين شخصية الملك والقداسة»[3]. وكمقارنة بسيطة نشير إلى التشابه بين شخصيتي الملك المخلص «أخناتون» والحاكم بأمر الله

(1) فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص19.

(2) فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص24.

(3) Yoyotte. (J), **LÉgypte ancienne, dans l'histoire universelle**, Pleiade, Paris, 1965, vol I, P130.

الفاطمي (386 ـ 411هـ/ 996 ـ 1021م)، الذي عمل على تأسيس فكر عقائدي شمولي لكل الفلسفات والمذاهب والأديان ويعدّ سابقة خطيرة كما سوف يمرّ معنا في طيّات البحث.

فبعد استتباب الأمور، بدأ بتحركه الديني، فتخلى عن ملابسه المذهبية، ولبس الصوف وتظاهر بالزهد ممّا أثار بلبلة في العاصمة الفاطمية «القاهرة» وقد اختفى الحاكم على مسرح الأحداث فجأة ليصبح منقذًا مهدويًّا لأتباع عقيدته الجديدة[1].

كما اعتبر المصريون الإسكندر المقدوني كمنقذ منتظر ليخلصهم من حكم الفرس الذين أخضعوا مصر لسلطانهم بقيادة قمبيز بن كورش (قورش) سنة 525ق ـ م، وحكموا البلاد حكمًا مباشرًا وقد توّج قمبيز نفسه ملكًا على مصر واتخذ لقب فرعون ليكسب نفسه مركزًا شرعيًّا في نظر أهالي البلاد[2]. ولكي يوطّد «الفرعون الفارسي»، نفوذه الفعلي على العرش المصري اتبع سياسة الفراعنة السابقين التقليدية فقام بقيادة عدد من الحملات على الجبهات المصرية وتنظيم أمور الجباية. ومع كل ذلك واجه مقاومة شديدة من قبل كهنة آمون في واحة «سيوة» وفي «الفنتين» ممّا أدى إلى نقمة الملك على الكهنة والمعابد المصرية، وتلا ذلك اتباع سياسة عنيفة في الداخل كان من مظاهرها إحراق

---

(1) مؤلف مجهول، نسخة السجل الذي وجد معلقًا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم، VAT. ARABO. N° : 909، الورقة من «4أ» إلى «7ب»؛ زكار (د. سهيل) وبيطار (د. أمينة)، **تاريخ الدولة العربية في المشرق**، جامعة دمشق، 1411هـ/ 1990م، ص80 ـ 81.

(2) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص249.

بعض المعابد وإهانة تماثيل المعبودات المصرية وإحراق مومياء أحموس لطمس ذكره إلى الأبد. وأصيب الثور المقدّس، «أبيس»، إصابة مميتة فاضطر «قمبيز» إلى مسايرة التقاليد المصرية والقبول بتنظيم مراسيم دفن «الثور المقدس» في العام السادس من حكمه باحتفال مهيب[1].

وقد أيّدت الوثائق الآرامية التي عثر عليها في مصر ما تقدّم من معلومات من المصادر الإغريقية، وتفيدنا إحدى الوثائق التي عُثر عليها جنوبي «أسوان» عمّا سبّبه الغزو الفارسي من إضرار بالمعابد المصرية[2]، فقد أصدر الملك قمبيز مرسومًا لحصر دخل المعابد المصرية، وذلك بهدف حصر الموارد الاقتصادية للمعابد، ولم يتدخل في الشأن الديني، ولكن الكهنة المصريين لم يغفروا للفرس ذلك. وبالفعل قامت حركة انتفاضية ضدّهم بقيادة رجل انتظروه طويلًا يدعى «خابا باشا»[3] فقد كان أميرًا محليًّا، قاد هذا التحرك واستطاع أن يهزم الفرس بمساعدة الأثينيين، ونصب نفسه ملكًا على مصر سنة 458ق ـ م[4]، وقامت ثورات أخرى لكن الفرس استطاعوا إخمادها جميعًا وبقيت مصر تحت الحكم

---

(1) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص250.

(2) Cowley. (A.E), **Aramic papyri of the Fifth century**, B. C Oxford.1923, pp13-14; Documents Aramées dÉgypte, Paris, 1942.

(3) Drioton. (E) et Vandier. (J), **LÉgypte P.U.F**, PARIS, 1975, PP 667-668.

(4) فرزات (د. محمد حرب)، المرجع السابق، ص250 ـ ص253. فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص28.

الفارسي إلى سنة 332ق.م تاريخ دخول الإسكندر المقدوني لمصر، وانتزاعها من قبضة الفرس، ولم يفكر المصريون بعد الفشل الذي أصابهم عديد المرّات في الانتفاضة مجدّدًا فقد كانوا بانتظار منقذ لهم من الخارج.

ولعبت المعتقدات المصرية دورًا مهمًّا في إبقاء الشعب في حالة انتظار ذلك بنبوءة خرجت من معبد «آمون» مقتضاها أن الفرس يسيطرون وأن الملك الوطني سيعود ثانية»[1] وظاهر الحال يؤكد أن الانتظار لمجيء منقذ منتظر كان مجديًا إلى حدّ بعيد، إذ تمثّل المنقذ هذه المرّة في شخصية الإسكندر ابن فليب المقدوني باعتباره سليل ملكهم الوطني «نكستابو» فقد اعتقد الشعب المصري ـ بتأثير الفكر الديني ـ أن الإسكندر مصري الأصل «وهناك قصّة طريفة فحواها أن «نكتانبو II» عندما طرده الفرس في منتصف القرن الرابع لم يفر إلى النوبة بل إلى مقدونية حيث هام بحبّ ملكتها، وأن الإله «آمون» قد تقمّص صورة نكتانبو وخالط أوليمبياس، وأنجب منها الإسكندر وأنه بعد انتهاء المخالطة قال للملكة: «افرحي أيتها السيدة لأنك حملت منّي ولدًا سيثأر لك ويحكم العالم»[2] وفعلًا تحققت النبوّة وصدق كهنة الديانة المصرية إذ دخل الإسكندر محرّرًا ومخلصًا لمصر من الفرس، فقد أوحى إلى أهالي مصر عن طريق الكهنة بأن زمن العبودية

---

(1) نصحي (إبراهيم)، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، القاهرة/ مصر، 1966م، جII، ص14.

(2) نصحي (إبراهيم)، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، جII، ص13 ـ 14.

والتنكر للآلهة قد انتهى، فهيّأ الأهالي لاستقبال المنقذ المنتظر[1] واحتشدوا في موكب طويل على جانبي الطريق لملاقاته بالورود والغار. ولأجل إثبات نبوءة كهنة «آمون» عمد أوّل ما حطّ رحاله في العاصمة المصرية ممفيس (منف) إلى إظهار احترامه للديانة المصرية. فعمل على تقديم القرابين في معبد «فتاح» للآلهة الفرعونية والعجل المقدس «آبيس»، ورسم نفسه فرعونًا طبقًا للطقوس والأعراف الدينية المصرية[2]، وذهب إلى أكثر من ذلك فقد توغّل في الصحراء قاصدًا الحجّ إلى معبد «آمون» في واحة «سيوة»، وكان يضارع في أهميته أعظم معابد الوحي الإغريقية[3] ويميل أغلب الباحثين إلى أن الإسكندر قام بهذه الزيارة لتحقيق غايتين أمام الرأي العام العالمي (آنذاك) وهما: إثبات صلة نسبه بالآلهة والفوز بمباركة الإله «آمون» لمشروعاته المقبلة. وقد كان من شأن تحقيق هاتين الغايتين أن ييسّر على «الملك الإله» تكوين إمبراطورية عالمية وبسط نفوذه في أرجائها[4] لذلك يمكننا اعتبار الاستقبال الحافل للإسكندر من قبل كهنة «آمون» ذا أثر كبير لا على الشعب المصري فحسب إنما على العالم القديم كافة، وهو ما كان يرمي إليه الإسكندر فقد كان يسعى جادًّا لإضفاء صفة

(1) Yayotte. (J), **L'Égypte Ancienne**, vol pp 205-206; نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، جI، ص21.

(2) العابد (مفيد رائف)، **دراسات في تاريخ الإغريق**، مطبعة دار الكتاب، دمشق/ سورية، 1979م، ص158.

(3) العابد (مفيد رائف)، **دراسات في تاريخ الإغريق**، ص158. فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص30.

(4) العابد (مفيد رائف)، **دراسات في تاريخ الإغريق**، ص159.

المشروعية لسيطرته على العالم باعتباره مخلصًا ومنقذًا. وهو ما عمل الإسكندر على تجسيمه على أرض الواقع سواء في المجال المصري أو في مناطق التوسع والانتشار المقدوني في العصور الكلاسيكية في الشرق الأدنى القديم، حيث عملت الدعاية الإغريقية على إخراج قصص ونبؤات عن أن الإسكندر ابن فليب فيه تباشير المنقذ المخلص، والظاهر أنّ هذه التباشير من نسج خيال أحد كهنة معبد «ساموتراقيا» ويُدْعَى «أريسطندروس» الذي درس في مستهلّ مشواره الدراسي بمعابد مصر، وتلقّى العلوم في أديرتها، ونظرًا لما أبداه من حكمة وذكاء، وتفوق اختاره كهنة معبد آمون لتنفيذ مشروعهم الإنقاذي[1].

ومن الممكن القول إنّ الدور الذي لعبه الكاهن «أريسطندروس» يشبه الدور الذي لعبه الكاهن «أي رع» مع «أخناتون» في الترويج لتلك النبوءة القائلة بتولي عرش مصر لأبناء إله الشمس «رع»، الذين ستلدهم بمعجزة زوجة كاهن من كهنة «رع» وأن أكبر هؤلاء الأولاد سيصبح كبير الكهنة في معبد هليوبوليس ثم ينتقل بعد ذلك إلى الملك.. وأنّ هذا الكاهن قال عنهم إنهّم سوف يملؤون هذه الوظيفة الخيرة[2] وبالتالي فإن دور الكاهن الإغريقي الذي تتلمذ على أيدي الكهنة المصريين كان مهمًا في غرس فكرة المنقذ لدى الإسكندر المقدوني، وأنه هو الشخص المخلص لمصر وديانتها من الاضطهاد الفارسي، كما

(1) فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص31.

(2) ولسون (جون)، **الحضارة المصرية**. ص164؛ فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص15، 31.

كان لأرسطو أستاذ الإسكندر دور كبير في بناء شخصية هذا الملك النصف إله إذ زرع فيه جنون العظمة وخلق قصصًا إعجازية عن ولادته والخوارق التي حدثت أثناء وضع أمه له[1] وقد حفل تاريخ العظماء والمصلحين والأنبياء وجميع أصحاب الدعوات والملوك بمثل هذه القصص الخوارقية لإضفاء مزيد من العظمة والشرعية ذات الطابع اللاهوتي على تلك الشخصية المشروع للمنقذ المنتظر. وهذا ما جعل الانتظار لشخصية المخلص يتواصل في مراحل ومحطّات تاريخيّة هامّة من تاريخ مصر القديم والوسيط.

ج ـ المنقذ عند الفرس:

كنّا قد تطرقنا إلى المعتقدات الإيرانية في مراحلها المختلفة حتى بقاياها في العصر الإسلامي العباسي في دراسات سابقة عن اليزيديّة والقرامطة، وفي جميعها نتلمس فكرة المنقذ المنتظر والمجدد للدين أو ذلك المصلح الديني في المعتقد نفسه كما كان عليه الحال في المعتقدات الإيرانية ذات المنشأ الزرادشتي، وانطلاقًا من موضوع «المهدي» الفارسي الذي بقي حلمًا يراود الفرس حتى أوائل القرن الرابع الهجري، تبيّن لنا أن الفكرة المهدوية القرمطية «المهدي القرمطي» كانت أسسها العقائدية فارسية زرادشتية بالرغم من لبوسها الثوب المهدوي الإسماعيلي، وسوف نعرّج على ملامح ذلك لاحقًا وبشكل مسهب في صلب الموضوع في الفصول القادمة.

(1) فالح (مهدي)، **البحث عن منقذ**، ص36، ص38.

فقصّة المخلص المنتظر عند الزرادشتية والمنبثقات العقائدية منها أخذت حيزًا من اهتمام رجال الدين الفرس وشغلت العامة، وبالتالي فإن هذه القضية لم تكن بالغريبة في الأدبيات الزرادشتية، فهناك مجموعة من الكتب التي جاء فيها من الأخبار الكثير حول آخر الزمان حسب التقويم الفارسي وظهور الموعود الذي سيخلص البشرية من الكبت والحرمان ومن ضغوط الحكام الذين يسعون في الأرض فسادًا ومن جملة هذه الكتب نذكر:

(كتاب أوسا «الأفستا/الآبستاق»، كتاب الزند، كتاب رسالة جامست (أوجاماسب)، كتاب قصّة دينيك، كتاب رسالة زرادشت)[1]. وقد طرحت الديانة الزرادشتية موعودين يطلق على كل منهم اسم «سوشيانت» وكان هؤلاء الموعودون ثلاثة، أكثرهم أهمية الموعود الثالث وقد كانوا يلقبونه «سوشيانت المنتصر» وسوشيانت هذا هو الموعود حيث قالوا: إن سوشيانت المزدية بمثابة كريشناي البراهمة، وبوذا الخامس لدى البوذية، والمسيح لدى اليهودية، وفارقليط عند العيساوية (النصرانيّة) وبمنزلة المهدي لدى المسلمين[2].

وجاء في كتاب شابورهرجان، وهو من الكتب المنسوبة

---

(1) **الإمام علي بن أبي طالب، الجفر: أخطر مخطوطة على وجه الأرض،** تقديم وتحقيق محمد عبد الحليم عبد الفتاح، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 2006م، ملاحق ومقدمة (محمد عبد الفتاح)، ص160.

(2) عبد الفتاح (محمد عبد الحليم)، **ملاحق كتاب الجفر**، مرجع سابق، ص160.

للمانوية ويحظى بدرجات عالية من القدسية: «خردشهر إيزد لا بدّ أن يظهر في آخر الزمان وينشر العدل في العالم...»[1].

وهذه التباشير الفارسية بالموعود المنتظر تناولتها المجموعات الدينية الإيرانية وجَيّرَتهَا[2] كل منها لمصالحها ولفرض شرعيتها أمام الشعب الإيراني فتعالت وتعاظمت الإشارات المهدوية والأدوار التي يقوم بها المخلص المنتظر «سوشيانت» حيث يعالج جميع آلام الموجوعين ويقتلع جذور الألم والمرض والعجز والظلم والكفر، ويهلك ويسقط الرجال الأنجاس وسينشر الدين في العالم فكرًا وقولًا وسلوكًا.

إذن بدأ العقل الزرادشتي يفكر في كيفية التخلص من مشكلة الزمن المحدّد عند أتباع الزرادشتية وانتهائه فرفعوا من شأن زرادشت من نبي إلى نبيّ ورسول آخر الزمان، لذلك قالوا إنّ زرادشت قال عن نفسه: «أيها الناس إنّني رسول الله إليكم، لهدايتكم بعثني الإله في آخر الزمان، أراد أن يختتم بي هذه الحياة الدنيا فجئت إلى الحق هاديًا»[3] ولهذا نجد أنّ أتباع الزرادشتية يعتقدون بأن زرادشت هو خاتم الأنبياء، ورسول آخر الزمان فصارت عقيدتهم هذه تتناقل جيلًا بعد جيل، يتولى إزكاءها وترسيخها رجال الدين الزرادشتي لذلك عمل هؤلاء على نشر تلك

---

(1) المصدر نفسه، ص160.

(2) المصدر نفسه، ص160.

(3) السقاف (أبكار)، **الدين في الهند والصين وإيران**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت/لبنان، ط1، 2004م، ص291.

الأفكار التي تربط بين ولادة زرادشت ونهاية الزمن[1] فكانت عقيدة المخلص وربطوها بولادة «سوشينات» الذي ولد من البذرة الخصبة التي نزلت من زرادشت في بحيرة كاسو التي اغتسل فيها، وقد بقيت هذه البذرة حيّة حسب الميثولوجيا الزرادشتية في هذه البحيرة المقدسة ثلاثة آلاف سنة من بعد زرادشت حتّى قبيل نهاية العالم، فإذا ما حان الحين نزلت عذراء طاهرة البحيرة للاغتسال فتتعلق هذه البذرة بها، وتحمل بمن سيجيء إلى العالم مخلصًا وهاديًا والذي تسمّى بـ«سوشينات» كما تقدّم؛ ومن هنا نجد الزرادشتيين ينتظرون ولادة مهديهم المخلص والمظفر من بحيرة كاسو[2]. وبذلك أصبحت فكرة المخلص عقيدة من عقائد الزرادشتيين أتباع الديانة الزرادشتية، وقد أخذت هذه الفكرة أشكالًا جديدة خلال الفترة اللاحقة، ففي العصر الإخميني قال اللاهوتيون بظهور ثلاثة مخلصين وذلك في نهاية كل أَلفية من الألفيات الأخيرة من عمر الزمن الأرضي»[3]. ففي نهاية الألفية الأولى يظهر المخلص المدعو «أوخشاتريتا» وفي نهاية الألفية الثانية يظهر «أوخشياتنيما» وفي نهاية الألفية الثالثة يظهر المخلص

---

(1) السقاف (أبكار)، المرجع السابق، ص308.

(2) **زرادشت الحكيم**، الفنديداد، ترجمه «داود جلبي الموصلي إلى اللغة العربية عن الترجمة الفرنسية للأبستاق، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل/العراق، 1952م، الفصل 19، ص174.

(3) غانم (خالد السيد محمد)، **الزرادشتية: تاريخًا وعقيدة وشريعة** (دراسة مقارنة)، دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق 2005، ص159.

«شاوشنياط» (أي «سوشيانت») من نسل زرادشت من عذراء البحيرة ولكن هذه التصورات اللاهوتية اللاحقة لم تتأصل في صميم المعتقد الشعبي وبقي النّاس مثبتين قلوبهم على المخلص الأخير منتظرين ظهور «سوشينات»[1] ففي أوائل القرن الرابع للهجرة نجح جهاز الدعاية القرمطي ببلاد البحرين في توظيف هذا الإرث الفارسي لتحقيق وتعجيل زمن الظهور للمهدي القرمطي بديارهم بناء على نبؤات فارسية مرتبطة بالظواهر الفلكية وقد كان للزعيم القرمطي سليمان أبي طاهر الجنابي أبيات في هذا الأمر نتلمس منها ولعه بعلم النجوم ويشير إلى قرب ظهور صاحب الأمر[2].

وبالعودة إلى مجمل الأفكار المهدوية الإنقاذية عند أتباع الزرادشتية ومنبثقاتها أو المتأثرة بطروحاتها الفكرية نتبيّن أنّ من المجوس الزرادشتية من ينسب إلى زرادشت قوله في «زندوستا» «سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا ومعناه الرجل العالم يزيّن العالم بالدين والعدل، ثم يظهر في زمانه بتياره فيوقع آلافه في أمره وملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيذريكا على

(1) السوّاح (فراس)، **الرحمن والشيطان**، دار علاء الدين، دمشق/ سورية، 2001م، ط II، ص88 ـ 99. غانم (خالد السيد محمد)، **الزرادشتية**، ص160.

(2) البغدادي، (عبد القاهر بن طاهر)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت/لبنان 1416هـ/ 1995 م، ص213 ـ 214؛ Degoegé. (M.J), **Mémoire sur les carmathes du Bahreïn et les Fatimides**, Leide-E.J. brill, 1886, Pp113-137.

أهل العالم، ويحيي العدل ويميت الجور، ويردّ السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى، وينقاد له الملوك، وتتيسر له الأمور وينصر الدين الحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن والله أعلم»[1].

والمانوية التي تعدّ منبثقًا معدّلًا عن الزرادشتية - وهي من المعتقدات ذات المنشأ الفارسي - قالت بوجود مخلّص للبشرية فكما ذكر «الحكيم ماني» في باب الألف من الجبلة، وفي أول «الشابرقان» «أنّ ملك عالم النور في كل أرضه لا يخلو منه شيء وأنه ظاهر باطن، وأنه لا نهاية له إلا من حيث تناهي أرضه إلى أرض عدوّه»[2]. لذلك يمكننا القول بأن فكرة المخلص بوصفها فكرة مهيمنة في الديانة المانوية كما هي مهيمنة في الغنطوسية ذات أصول إيرانية، وأن المخلص عند المانوية هو نفسه خلاصة جميع الأرواح التي سيتمّ فداؤها وهي فكرة مربوطة مع فكرة التّطابق بين الذات البشرية العليا وبين هذا المخلّص السماوي[3] وكان بقايا المانوية في العصر العباسي ينتظرون الخلاص حسب معتقداتهم فقد زعم «أبو سعيد المانوي» وهو من رؤسائهم: «أن الذي مضى من المزاج إلى الوقت الذي هو فيه وهو سنة إحدى وسبعين

---

(1) زيهنير (ر.س)، **المجوسية الزرادشتية**، الفجر - الغروب، نقله إلى العربية وقدم له، أ. د. سهيل زكار، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1425هـ/ 2005م، ص512.

(2) زيهنير (ر.س)، **المجوسية الزرادشتية**، ص516.

(3) نغرين (جيو وايد)، **ماني والمانويّة**، (دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها)، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1985 ص173.

ومائتين من الهجرة أحد عشر ألفًا وسبعمائة سنة، وأن الذي بقي إلى وقت الخلاص ثلاثمائة سنة، وعلى مذهبه مدّة المزاج اثنا عشر ألف سنة فيكون قد بقي من المدّة خمسون سنة من زماننا هذا، وهو إحدى وعشرون وخمسمائة هجرية، فنحن في آخر المزاج وبدور الخلاص، فإلى الخلاص الكلي، وانحلال التراكيب خمسون سنة»[1] والمتتبع للأدبيات الفقهية والعقائدية للمانوية يجد مثل هذه الأخبار بدقائقها وجزئياتها الفلكية بحيث فرضت على الأتباع الإيمان بالمخلص «البارقليط»، ولتدعيم هذا الإيمان والاعتراف بهذه العقيدة المهدوية صاغها صيغة أضافها إلى صلواته فهو إذ يهوي ساجدًا فليس إلّا ليختتم صلاته بالتحيّة والسلام على هذا النبيّ قائلًا: «مبارك هادينا البارقليط، رسول النور»[2] وقد عمل دعاة ومبشرو المانوية في الترويج لها في أرجاء الشرق الأدنى القديم حيث ظلّت هذه العقيدة في الوعي الزمني عالقة كذكرى لم تغب بمغيب «ماني»، وعليها لم يسحب الزمن سحب النسيان التي سحبها على «ماني» فقد ظلت في آفاق التفكير الديني الجماعي تهمهم نغمًا شجيًا لا يذكر إلّا التبشير اليسوعي بـ«بارقليط» ولا يردّد إلا أن عيسى قد بشّر برسول يأتي من بعده[3] وقد تحوّلت هذه العقيدة من التفكير الخاص الضيّق إلى التفكير الديني الجماعي وأملًا منشودًا لدى مجموعات دينية

---

(1) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص248 ـ ص249. جيو وايد نغرين، المرجع السابق، ص301. زيهنير (ر.س)، المرجع السابق، ص516.

(2) السقاف (أبكار)، المرجع السابق، ص206.

(3) السقاف (أبكار)، المرجع السابق، ص206.

أخرى نقلت الكثير من جزئيات هذا الفكر بدون تحفظات لتدعيم مواقفها الحجاجية عند منافسيها، فهناك في التاريخ الإسلامي عديد المجموعات التي تأثرت بالزرادشتية وبفكر المخلص المنتظر كفرقة أهل العدل والتوحيد التي آمنت بالمخلص «سوشيانت» الذي سوف يظهر لنشر العدل والتوحيد وقال أحدهم «قاسم الدمشقي»: «إنّ الحروف التي في القرآن هي التي في كتاب زرادشت المجوسي بأعيانها، لا على أنها مثلها»[1] والرواندية التي حاربها الخليفة العباسي المنصور بحجة أنهم من أتباع عدوّه أبي مسلم الخراساني[2]، وزعم أتباع «بهافريد» بعد مقتله، أنه صعد إلى السماء على برذون، وأنه سينزل إليهم كما صعد وينتقم من أعدائه، ويملأ الأرض عدلًا وحقًّا، ويدين به الناس ويعمّ في عصره السلام[3] ودعا سنباذ إلى تعاليم «بهافريد» في الحلول والرجعة، وزعم أن أبا مسلم الخراساني لم يمت، وأن جبريل نزل عليه، ولما هدّده الخليفة المنصور، دعا اسم الله الأعظم

---

(1) عثمان (فارس) **زرادشت والديانة الزرادشتية**، دار المحبة دمشق/ سورية، ودار آية بيروت/لبنان، 2003م، ص190.

(2) الرازي (الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان)، **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية**، تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي ضمن كتاب، **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، بغداد/العراق، 1988م، القسم الثالث، ص300؛** BROWN, (B.C), **A LITERARY** HISTORY OF PERSICA. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص154 ـ 155. **CAMBRIDGE, 1930, pp317 - 318**.

(3) البيروني (أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، نسخة مصورة بالأوفست عن نسخة ليبزيك 1923، مكتبة المثنى، بغداد/ العراق (د.ت)، ص211.

وتحوّل إلى حمامة بيضاء وطار[1]. وادعت الخرمية أن «مسلم» حيّ لم يمت وأنه يرجع ويملأ الأرض عدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا[2] وعقائد الخلاص والإنقاذ عند الزرادشتية والمانوية وغيرها من المعتقدات ذات الصلة بالفرس خاصة والتي قد أخذ بعضها مسحة دينية من الجوار المسيحي كلها تصبّ في استعجال الخلاص والانتظار للمنقذ المخلص الذي حمل عدّة أسماء حسب أصحاب الحضارات والديانات التي انتمى إليها أصحابها، وكلٌ وضع علامات وآيات خارقة للظهور لا يعلمها إلّا المؤمنون بتلك العقائد ضمن مجموعاتهم المذهبية والدينية وكلٌ منها تردّ الشرعية لمجموعاتها وتخلق نسبًا ومعجزات وكرامات لمهديها.

أمّا الديانات السماوية التي يتواصل خطابها الديني في ما بينها فإننا نقف فيها على مجموعات من المهديين المنقذين ولكل منها مرجعيته ومهديّه الذي سيكون خلاص الإنسان على يديه وأتباعه هم الناجون.

---

(1) الطوسي (نظام الملك: وزير السلاجقة: توفّي 485هـ)، **سياست ـ نامه أو سير الملوك**، ترجمة الدكتور يوسف حسين بكّار، نشر وتوزيع دار الثّقافة، الدوحة/ دولة قطر، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987 م، ص254 ـ ص255. العزيز (حسين قاسم)، **البابكية، (الانتفاضة ضدّ الخلافة العباسية)**، دار المدى، دمشق/ سورية، 2000م..

(2) الرازي، **كتاب الزينة**، القسم الثالث، ص298 ـ 300.

- II -

المنقذ المنتظر عند أهل الكتاب

قبل الخوض في مخلّصي الديانات السماوية سوف تكون لنا وقفة مع الانتشار اليهودي والمسيحي النصراني في شبه الجزيرة العربية، لذلك لا بدّ لنا من توطئة عن هذه الديانات:

أ ـ إطلالة عن الديانات الكتابيّة في الشرق الأدنى:

1 ـ اليهودية:

تواجدت الديانة اليهودية في شبه الجزيرة العربية على شكل جاليات ومجموعات قبلية أهمها تلك التي استقرت بالحجاز وتحديدًا في يثرب، ولا ننسى هنا الانتشار الديني لليهودية في بلاد اليمن ومناطق متفرقة في شبه الجزيرة العربية على شكل بعثات تجارية، وأخبار الجموع اليهودية في بلاد العرب كان لها شأن في تاريخ المنطقة العربية، وتنتهي هذه الأخبار بحدث الإجلاء الذي قام به الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لهذه الطوائف من خيبر وفدك من أرض الحجاز[1]. واليهود في الجزيرة العربية لم يتركوا أثرًا مكتوبًا عن ماضيهم وكل ما عثر عليه عنهم،

---

(1) ابن هشام، **السيرة**، جIII، ص197. ولفنسون (د. إسرائيل)، **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، قدّم له د. طه حسين، دار مكتبة بيبليون، جبيل/لبنان، 2006م، ص332.

هو نصوص معدودة وجدت في اليمن، وهي أيضًا لا تفصح عن شيء ذي بال عن يهود واليهودية، وكذلك فإن الكتبة والمؤلفين العبرانيين لم يذكروا شيئًا عن يهود الجاهلية[1]. والظاهر أن أولى الاتصالات بين اليهود وبلاد العرب كانت على المستوى الاقتصادي في عهد مملكة النبي سليمان حسب إشارات العهد القديم[2].

وبالتالي فإنه في فترة الممالك اليهودية على أرض فلسطين لم يكن في شبه الجزيرة العربية استقرار لقبائل يهودية أو انتشار ديني لها بشكل واضح، وهذا لا يمنع أن تكون هناك صلات تجارية بسبب اتصال الجزيرة العربية ببلاد الشام وفلسطين، كما لا يمنع من وجود هجرة لبعض الجاليات اليهودية في تلك الفترة، إلى شبه الجزيرة العربية وإقامتها هناك، ثم أُبيدت ولم يصلنا من أخبارها شيء[3]، وهذا ممكن جدًّا إلّا إذا أمدّتنا اللقى الأثرية بالجديد. وابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد إلى تاريخ إجلاء الخليفة عمر بن الخطاب لبعض الطوائف اليهودية من الحجاز، بدأت ترتسم أمامنا ملامح لتجمعات يهودية في شمال شبه الجزيرة العربية. إنّ الفترة الواقعة بين القرن الخامس قبل الميلاد وبين تدمير الهيكل وتشتيت اليهود على يد تيتوس الروماني عام 70م، تسرّبت فيها بعض المجموعات اليهودية من فلسطين واستقرّت في

---

(1) العقيلي (د. محمد أرشيد)، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، (طبع المؤلف)، عمّان/الأردن، 1401هـ/1980م، ص55.

(2) الكتاب المقدس، **العهد القديم (التوراة)**، (الإصحاح العاشر: 1 ـ 10).

(3) العقيلي (د. محمد أرشيد)، المرجع السابق، ص55 ـ 59.

الأجزاء الشمالية في خيبر وتيماء ووادي القرى وفدك[1] كما تواجدت ثلاث قبائل يهودية كبرى بيثرب حيث سيطروا على عصب الحياة الاقتصادية فيها واستقرت إلى جانبهم قبيلة الأوس والخزرج اللتين وفدتا من اليمن إلى شمال الحجاز[2].

أمّا الوجود اليهودي في بلاد اليمن، فيعود إلى الحركة التجارية والتبشير الديني وكذلك قبول قبيلة حمير الحاكمة بانتشار اليهودية بين صفوفها بدعم من الملك «تبّان أسعد أبو كرب» فحسب إحدى الروايات أنّ هذا الملك اليمني مرّ بيثرب في طريق عودته من إحدى الحروب في الشرق والتقى بحبرين من علماء اليهود واصطحبهما معه في طريق عودته ومرّ بمكة فثنياه عن التعرّض للبيت الذي في مكة بسوء، فأخذ بنصيحتهما، وتذكر الرواية أنه أثناء الرحلة اتبعهما على دينهما، وعند وصوله إلى اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه ذلك حتى يحاكموه إلى النار التي كانت في اليمن تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم. وتخلص الرواية إلى أنّ تبّان أسعد أبو كرب والحبرين اليهوديّين قد انتصروا في هذه المحاكمة. وبذلك اجتمعت حمير على دينه، وكان ذلك أصل اليهودية في اليمن[3]. إضافة إلى هذه القصّة وما اختلط فيها من أساطير بالحقائق فإن هناك إشارات إلى أن دخول اليهودية إلى اليمن يرجع أيضًا إلى اتصال اليمن منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية

(1) ولفنسون (د. إسرائيل)، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، ص67 ـ 88.

(2) الأصفهاني، **الأغاني**، جXIX، ص96. ولفنسون (د. إسرائيل)، المرجع السابق، ص84 ـ ص85. العقيلي، المرجع السابق، ص69.

(3) ابن هشام، **السيرة**، جI، ص16 ـ 20.

والبحرية ببلاد الشام. وتشير قصة سليمان وملكة سبأ إلى اتصال رسمي موثق بين اليهود وبلاد اليمن وهذا ما يؤكد لنا انتشار اليهوديّة بين الحميريين في مراحل لاحقة. وأيضًا نستحضر إشارة المؤرخين النصارى إلى ذلك، ففي حوالي عام 425م، ذكر المؤرخ النصراني فيلوستروجيوس philostroguis[1] أنّ السبئيين الذين أطلق عليهم «الحميريون» في زمان هذا المؤرخ مارسوا طقوس اليوم الثامن أي يوم السبت حسب سُنّة إبراهيم، ولكنهم عبدوا أيضًا إلى جانبها الشمس والقمر، ومعبودات محلية وبعضهم كان على دين اليهودية، وقاوموا ثيوفليس/Theophilus الذي أرسل من قبل القيصر قسطنطين (340 ـ 361م) وذلك للتبشير بالمسيحية بين الحميريين وقد نجح في تأسيس ثلاث كنائس في ظفار وعدن[2] ويُعدّ ذي نواس من آخر ملوك حمير، وكان في زمانه بقايا أهل دين عيسى ابن مريم بنجران ودعاهم إلى اعتناق اليهودية وخيّرهم بين ذلك والقتل. فاختاروا القتل فشقّ لهم الأخدود[3].

هذا وإن التجمعات اليهودية الكبرى التي بقيت حتى ظهور الإسلام وقبل إجلاء يهود الحجاز إلى خارج شبه الجزيرة العربية، لم تترك أيّ أثر مكتوب سوى ما تناقلته كتب الأخبار والسّير

---

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك ـ أخبار الأيام الثاني ـ الإصحاح: 9 ـ 10). **القرآن الكريم، سورة النمل** (27: 22 ـ 44). منى (زياد)، **بلقيس: لغز ملكة سبا**، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2004م، ص65 ـ 82، 123 ـ 150.

(2) العقيلي، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، ص74 ـ 75.

(3) **القرآن الكريم، سورة البروج** (85: 1 ـ 10). ابن هشام، **السيرة**، ج1، ص30 ـ ص36.

والنزر القليل الذي تركه يهود اليمن، وفي المجمل لم يشر الكتبة اليهود إلى ماضيهم وتراثهم الأدبي إذ لم يرد أن أحدًا من اليهود الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية قد تطرّق إلى ما كان لأجدادهم هناك من فنّ وثقافة وعلم وأدب[1]. وأما بالنسبة لانتشار اليهودية في الحجاز فإن هناك عدّة أسباب لعلّ أهمّها:

أن اليهود لم تكن عندهم النيّة في نشر دينهم بطريقة مباشرة لأسباب عقائدية باعتبارهم المميزين بين شعوب الأرض، ولهذا لا يقرّون بأن الله يختار نبيًّا من غير بني إسرائيل[2] وهذا ما جعل اليهود ينظرون إلى من جاورهم من العرب نظرة استعلاء ممّا أدى إلى نفور العرب منهم. كذلك فإن اليهودية هي خلاصة القانون التلمودي بعقائده وتقاليده، وقد نتج عن ذلك أن الذين يؤمنون بالتوراة ولا يخضعون لقانون التلمود لم يؤذن لهم باعتناق اليهودية، وقد تأثرت الجزيرة العربية بذلك، إذ أن العرب الذين تأثروا بتعاليم اليهودية خضعوا لبعض الأصول الجوهرية من التوراة دون أن ينقادوا للبعض الآخر، فلم ترض منهم اليهودية ذلك ولم تفرق بينهم وبين بقية عبدة الأصنام[3].

كما يوجد سبب آخر أعاق انتشار اليهودية في بلاد العرب هو أن التوراة والتلمود كلفا الإنسان بتكاليف صعبة، وربطاه بتقاليد قاسية لم يألفها، فلم يستطع العربي الذي لم يكن يعرف

---

(1) العقيلي، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، ص88 ـ 89.

(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر التثنية ـ الإصحاح: 15).

(3) ولفنسون (د. إسرائيل)، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، ص169 ـ ص171.

للنظم المعقدة قيمة أن يدركها بسهولة، وتمرّ على نفسه وهي المطبوعة على حب الاستقلال والحرّية[1].

والظاهر أنّ سيطرة اليهود على عصب الحياة الاقتصادية في يثرب جعل العرب يتوجّسون منهم ولم يألفوا بينهم دينهم[2].

2 ـ النصرانية:

انتشرت النصرانية بشكل واضح للعيان بين العرب في مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية، حيث اعتنقتها قبائل بأكملها، واقتصر وجودها في بعض المناطق على أفراد فرادى ضمن الجسم القبلي، ويشير اليعقوبي إلى أن: «من تنصّر من أحياء العرب قوم من قريش من بني أسد بن عبد العزّى، منهم عثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل ومن بني تميم: بنو امرئ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة: بنو تغلب، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليم وتنوخ وغسان ولخم»[3].

وتراوحت مذاهب النصرانية بين القبائل العربية في شبه الجزيرة وعلى تخومها حسب قربهم الجغرافي من مراكز التأثير الكنسي أو قوّة نفوذ السلطة الحامية لهذا المذهب أو ذاك. ومن المذاهب النصرانية التي دان بها العرب أو تأثروا نذكر:

---

(1) ولفنسون (د. إسرائيل)، المرجع السابق، ص172.

(2) العقيلي، المرجع السابق، ص93.

(3) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي)، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1993/1413، ج1، ص311.

*** الأرثوذوكسية:**

حيث كان هذا المذهب الرسمي للإمبراطورية البيزنطية منذ القرن الرابع للميلاد فيما كانت القبائل العربية الموالية للبيزنطيين في بلاد الشام والتخوم الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية وحتى في مصر تعتنق المذهب اليعقوبي، وينحصر تأثير الأرثوذوكسية في شبه الجزيرة العربية على البعثات التبشيرية التي كانت ترعاها وتشرف عليها كنيسة القسطنطينية في محاولة لمدّ النفوذ البيزنطي (الرومي)، إلى عمق بلاد العرب[1].

*** اليعقوبية:**

انتشر المذهب اليعقوبي في بلاد غسان على تخوم الجزيرة العربية كما انتشرت في مصر والحبشة حيث كانت اليعقوبية ديانة رسمية معترفًا بها من قبل السلط البيزنطية التي كانت تسيطر على البلدين وقد دخلت اليعقوبية إلى اليمن مع الغزو الحبشي إليها حيث أُقيمت كنائس تابعة لهذا المذهب أثناء فترة الاحتلال الحبشي[2].

*** النسطورية:**

تغلغل هذا المذهب في شبه الجزيرة العربية عبر الطرق التجارية الآتية من الأردن في الشمال الغربي وصولًا إلى نجران

(1) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، دار الحصاد، دمشق/سوريا، 1998، ص104.

(2) العايب (د. سلوى بالحاج صالح)، **المسيحية العربية وتطوّراتها**، دار الطليعة، بيروت/لبنان، 1997م، ص72.

واليمن جنوبًا فيما انتقل إلى المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية عن طريق نصارى الحيرة ورجال دينهم الذين قدموا لهذه المنطقة للتبشير، فبذروا فيها مذهبهم ونشروه بين من أراد التنصّر من العرب[1]. أمّا الحضور المسيحي النسطوري في اليمامة ووادي الدواسر، فقد تسرّب إليها من الحيرة والجزيرة الفراتية مرورًا بأرض نجد[2] بينما ذهبت الباحثة سلوى العايب إلى دور بلاد البحرين في انتشار النسطورية باليمامة وكذلك ملوك كندة الذين قاموا بنشر المسيحية النسطورية داخل بلادهم أو المناطق الخاضعة لنفوذهم[3]. ودخل هذا المذهب (النسطوري)، إلى بلاد اليمن بقوّة بعد التدخل الفارسي وانتشرت كنائسها على حساب الكنائس اليعقوبية بعد اندحار الأحباش الذين يدينون باليعقوبية[4].

*** الآريوسية:**

يُنسب هذا المذهب إلى كاهن ولد في الإسكندرية وتتلخص مقولاته بأن «المسيح لم يكن هو والخالق شيئًا واحدًا، بل كان «المسيح الكلمة، أول الكائنات التي خلقها الله وأسماها... وإذا كان المسيح قد خلق، فلا بدّ أن يكون خلقه من لا شيء، أي من

(1) علي (د. جواد)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375هـ/ 1956م. جVI، ص211. النجم (عبد الرحمٰن عبد الكريم)، **البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج**، دار الحرية للطباعة، وزارة الإعلام، بغداد/ العراق، 1973م، ص46.

(2) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص106.

(3) العايب (د. سلوى بالحاج صالح)، **المسيحية العربية وتطوّراتها**، ص81 ـ ص84.

(4) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص106.

غير جوهر الأب، لأن المسيح والأب ليسا من مادة واحدة»[1].

وقد أوجد هذا الكاهن الشاب انصداعًا كبيرًا وخطيرًا في الكنيسة المسيحية قرابة الخمسين سنة بسبب هذه الآراء. هذا عن أهمّ المقالات الأريوسية التي اجتاحت العالم القديم، وشكّلت عنصر ضغط وتوتر وكانت السبب في انعقاد مجامع دينية لإصلاح العقائد المسيحية، وفرض مذهب محدّد على أتباع الإمبراطورية الرومانية الشرقية آنذاك وبالعودة إلى آريوس نشير إلى أنّه قد ولد في سنة 256م، بالإسكندرية كما مرّ معنا وهو من أصل ليبي وتوفي في سنة 336م، وأخذ العلم عن «لقيانوس» الأنطاكي وبدأ حركته التي تسميها الأوساط المسيحية المعارضة إلحادية سنة 318م[2]، وفي سنة 325م، انعقد مجمع نيقية (NIKA) الكنسي برعاية الإمبراطور قسطنطين الكبير[3]، ولما كانت أغلبية من حضر المجمع من أتباع المذهب الأرثوذكسي الذي يرى أن القول بخلق يسوع المسيح، ونفي ألوهيته هرطقة لا يمكن غفرانها، صدر قرار وطَلَبَ الإمبرَاطُور منَ الحُضور التوقيع عليه فرفضه

(1) ديورانت (وول)، **قصّة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1988م، المجلد XI، ص396.

(2) غرديه (لويس)، وقنواتي، **فلسفة الفكر الديني**، ترجمة صبحي الصالح ودوفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، 1967م، (طI)، جII، ص286. الفاضلي (د. داود علي)، **أصول المسيحية كما يصوّرها القرآن الكريم**، مكتبة المعارف، الرباط/المغرب، 1393هـ/1973م..

(3) الفاضلي (د. داود علي)، المرجع السابق، ص235. الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص107.

«آريوس» وآخرون، فصدرت عليهم اللعنة والحرمان، ونفاهم الإمبراطور من البلاد وصدر قرار إمبراطوري بإحراق كتب «آريوس» جميعها وجعل جريمة الإعدام لمن يخفي أي كتاب منها، لحمل الناس على قراءة ما يوافق رأيه فقط[1]. على أنّ الاضطهاد الكنسي المسلّط على الآريوسية لم يمنعها من الانتشار في المنطقة العربية[2].

ب ـ اليهودية ـ النصرانية:

اتخذت المسيحية في أرض فلسطين، إثر انتشارها بين اليهود مسارًا مختلفًا نوعًا ما عن انتشارها بين الشعوب الوثنية، وإذا كانت «المسيحية البوليسية قد أعلنت استقلالها عن الناموس اليهودي، فإن اليهود بقوا متمسكين بأحكامه يحترمون السبت، ويطبقون التعليمات وهذه الميزة العقائدية ميّزت اليهود ـ النصارى وكانت سببًا في تعرضهم للقمع والاضطهاد المزدوج من قبل يهود فلسطين من جهة ومن الكنيسة المسيحية البوليسية ـ بعد أن أصبحت الأرثوذكسية الديانة الرسمية للإمبراطورية ـ من جهة أخرى. ممّا اضطرّهم للنزوح عن فلسطين فانتقل قسم منهم إلى الأردن والحجاز واليمن فيما نزح قسم آخر إلى شرق الجزيرة والعراق... وعلى المستوى العقدي كانت اليهودية - النصرانية ممثلة في ثلاث مجموعات:

---

(1) ديو رانت (وول)، المرجع السابق، جXI، ص396. الفاضلي (د. داود علي)، المرجع السابق، ص237. الصباغ (عماد)، **الاحناف**، ص107.

(2) الصباغ (عماد)، **الاحناف**، ص107.

1 ـ الناصريون:

وهو التيّار الذي تمسك بألوهية السيد المسيح «يسوع» من جهة، وبالناموس اليهودي من جهة ثانية، في إطار تلفيق ذهني بين البوليسية واليهودية التوراتية[1].

2 ـ الأبيونيون:

لا تتوافر أية مادة علمية دقيقة عن هذه الطائفة «اليهودية ـ النصرانية»، كما أنه لا يُعرف أي شيء عن إنجيلها سوى مقاطع غاية في القصر نقلها بعض آباء الكنيسة المعادين لهم أصلًا[2]. أعلن الأبيونيون رفضهم للكنيسة البوليسية وتعاليمها، واعتبروا أن بولس مرتدّ عن الدين، بإغفاله التمسك بالناموس اليهودي وإباحته المحرمات التي حرّمتها التوراة، وهم يرون أن المسيحية امتداد لليهودية والسيد المسيح عند هؤلاء نبيّ عظيم، وهو ليس إلهًا ولا ابنًا لله، والتثليث في عقيدتهم غير قائم، فجوهر مسيحيتهم هي العقيدة الخلاصيّة[3]. وسوف نعرّج على آرائهم الإنقاذية عندما نتناول فكرة المخلص عند النصارى.

ويرى أهل الاختصاص الذين بحثوا في الموضوع أن تاريخ نشوء هذه الطائفة يعود إلى القرن الثاني للميلاد حيث ترد أول إشارة لهم عند أحد آباء الكنيسة هو «إرينيوس» في سنة 175م، وهناك اعتقاد بأن مقرّهم الرئيس كان شرقي فلسطين. وبعد تحليل بعض المفردات والمصطلحات التي تتكرر فيما وصلنا من

---

(1) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص108.

(2) منى (زياد)، **الأبيونيون وورقة بن نوفل والإسلام**، قُدمس للنشر والتوزيع، دمشق/سورية، 2001، ص13.

(3) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص108.

«إنجيلهم» ذهب العلماء المختصون إلى أن لغة إنجيل الأبيونيين الأصلية هي اليونانية، وليست «الآرامية» أو «العبرية» وقد بقيت هذه الطائفة الصغيرة قائمة حتى البعثة النبوية حيث دخل أتباعها الإسلام، بعد الفتح والانتشار خارج شبه الجزيرة العربية[1].

3 ـ الكزائيون:

يقول هؤلاء إنّ الإنسان الأول آدم كان على الدين الحقيقي الصحيح لأن الروح الإلهي سكن فيه، لكن الجنس البشري أضاع هذه الديانة شيئًا فشيئًا وانحرف عن الاتجاه الصحيح، فوقع في الخطيئة، ولأجل إنقاذ البشر أرسل الله، فيهم أنبياء مثل هابيل وأخنوخ وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى.

أمّا اليهود فقد ضلّوا الرسالة الحقيقية لهؤلاء الأنبياء وأضاعوا جوهرها فغرقوا في المحسوس إلى درجة تحوّلت معها الديانة إلى مجرّد احتفالات طقسية.

لقد أنكر أصحاب هذا المذهب تعاليم المدرسة البوليسية ونفوا ألوهية المسيح، والتثليث الأقنومي[2] وكانوا يصلون مستقبلين بيت المقدس بعد طقوس من التطهّر[3].

---

(1) منى (زياد)، **الأبيونيون**، ص13.

(2) وذهب البعض إلى وجود تطابق بين الثالوث المصري (الإله أوسيروس ويسمّى الأب (الوالد) والإله هور، ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة، والإله آريس ويسمى الأم أو الوالدة)، والثالوث النصراني حتى قالوا إن الثالوث المسيحي مأخوذ عن هذا الثالوث الفرعوني، الفاضلي، **أصول المسيحية**، ص207 ـ ص208.

(3) الصباغ (عماد)، **الأحناف**، ص108.

لقد اضطرّ أتباع المذاهب اليهودية ـ النصرانية إلى النزوح الجماعي نتيجة للاضطهاد الديني من أرض فلسطين وذلك بالفرار إلى أرض لا ينالهم فيها أذى ونقمة اليهود ولا تطالهم يد البيزنطيين. فلجؤوا إلى شبه جزيرة العرب التي بقيت في عمقها منيعة ومستعصية على القوى الإقليمية (الفرس والروم) وقد استمرّ وجود هؤلاء على أرضها حتى البعثة المحمدية، فقد تكرّر ذكرهم عند الإخباريين في حديثهم عن الفترة التي سبقت الدعوة وورد ذكر هؤلاء تحت اسم «الكسائيين»، و«الأبيونيين» ممّا يؤكد حضورهم المشخص في شبه الجزيرة العربية حتى نهاية القرن السادس الميلادي[1].

وتطرقنا هذا للمجموعات المسيحية واليهودية التي جاورت أو أقامت في بلاد العرب سوف يرسم لنا ملامح الخارطة المذهبية والدينية آنذاك والتأثيرات التي طرأت على المجموعات الكلامية الإسلامية وكيفية استفادتها وتوظيفها لحجاج الآخرين وتجييره لمشاريعها المهدوية.

ج ـ المنقذ عند اليهود:

يعتقد اليهود بأن الشريعة الإلهية لا تكون إلا واحدة، وهي ابتدأت بالنبيّ موسى، وكملت به فلم تكن قبله شريعة... ومسائلهم تدور حول النسخ والتشبيه والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرجعة ولهم حججهم ومستنداتهم في ذلك كما سوف نرى. فالمنقذ المنتظر في الديانة اليهودية كان قبل المسيح وبعده الموعود المؤمل عندهم، والإشارات إليه تتجدّد وتتكرّر باستمرار في

(1) الصباغ (عماد)، المرجع السابق، ص109.

آثارهم وأدبياتهم الدينية. وإذا ما تأملنا في مجموع التراث اليهودي المقدس وجدنا تصويرًا لملامح موعودين ثلاثة: السيّد المسيح، النبيّ محمّد، والإمام المهدي[1] ومع وضوح هذه الرؤية وتلك الملامح للموعودين الثلاثة في الفكر اليهودي، فإنّ اليهود ينكرون نبوّة المسيح والنبيّ محمد، لذلك نجد عندهم نوعًا من الانتظار «الخاص» والقلق إزاء قضيّة الموعود ومفهوم الإنتظار، وعلى هذا الأساس فإن اليهود لا يمكن لهم أن يمرّروا تلك الإشارات التي حفظتها دفّات الكتب والنصوص المقدسّة.

لذلك لا بدّ أن يكون اليهود أكثر انتظارًا من المنتظرين الآخرين، وأن يعكفوا بشكل أكبر على تأمل مفهوم الانتظار والاستعداد ليوم الظهور، وقد تناولت موضوع المنتظر الموعود عند اليهود مجموعة من كتبهم إضافة إلى العهد القديم (التوراة)، وهي «كتاب دانيال النبيّ، كتاب حجي النبيّ، كتاب صفينا النبيّ وكتاب أشعيا النبيّ»[2].

وبالعودة مجدّدًا للفكر الإنقاذي عند اليهود نتبيّن أن قولهم بالرجعة يستند إلى أمرين «الأوّل: حديث العزيز، إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه، والثاني: حديث هارون، إذ مات ونسبوا قتله إلى موسى لحسده له، لأن اليهود كانوا أميل إلى هارون منه إلى موسى، فاختلفوا في موته، فمنهم من قال: إنّه سيرجع»[3]. لذلك

(1) عبد الفتاح (محمد عبد الحليم)، **ملاحق كتاب الجفر**، مرجع سابق، ص138.

(2) عبد الفتاح (محمد عبد الحليم)، **المرجع السابق**، ص140.

(3) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص212.

دان اليهود بالعودة إلى الدنيا في آخر الزمان، وأن غيرهم من الأمم لا يعودون[1]. فحفل التاريخ اليهودي بالمنقذين في محطّات عدّة وسوف نسعى للتّعريج على أهمّ هؤلاء ودراسة تطوّرات هذا الفكر وتبلوره في المخيال الديني والشعبي اليهودي.

1 ـ يهوه المنقذ الأوّل:

يعتبر «يهوه» المنقذ الأول لبني إسرائيل وقبل التعريج على دوره الإنقاذي «لشعب بني إسرائيل» لا بدّ من معرفته كمصطلح ديني، خاصّة وأنّ هذه تسمية قد وردت في ظلّ مجتمعات ذات تعدّدية للأرباب، أمّا اسم الإله الجديد «يهوه» فقد تعدّدت نظريات الدارسين حوله ومنها أن الاسم ذو أصل كنعاني، ومشتقّ من اسم أحد أبناء الإله «إيل» المدعو «ياو» أو «ياويل» وأنّ الابن قد حلّ محل الأب، كما هو الحال في ديانات كثيرة وقد ورد اسم «ياو» في أكثر من موضع في نصوص رأس شمر بأوغاريت[2] وأصل التسمية لا يعرف اشتقاقها على وجه التحقيق فذهب البعض إلى ردّها إلى مادة الحياة أو نداء الضمير الغائب أي «ياهو»[3] بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ اسم «يهوه» يعود إلى أحد الآلهة

---

(1) اليوزبكي (د.توفيق سلطان)، «فكرة المنقذ المنتظر والرجعة في عقائد المجوسية واليهودية والمسيحية وأثرها في الفرق الإسلامية»، **الجامعة** (تصدرها جامعة الموصل)، العدد II، السنة الرابعة، شوّال 1393م/ أكتوبر/ تشرين الأول 1973، ص27.

(2) Gordon. (C.H), **Ugarit and Minoan Crete**, Narton Library, New York, 1967, Pp24-25.

(3) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص90.

الكنعانية[1] كما تقدّم معنا ويؤكد ذلك وجود قطع من الخزف من بقايا العصر البرونزي (3000ق.م) عليها اسم إله كنعاني يسمى «ياه» أو «ياهوا»[2].

وقبل التطرق لموضوع «يهوه» المخلص لا بدّ من الإشارة التذكيرية إلى أنّ يهوه العبراني أو الإله اليهودي ليس إلا «إيل» الكنعاني في ثوب جديد وبتسمية جديدة فرضتها طبيعة الإصلاح الديني للنبيّ موسى، ورغبة العبرانيين (بني إسرائيل) فيما بعد بالتميّز عن جيرانهم الكنعانيين. وإن الفروق بين الإلهين ليست إلا نتاج التاريخ الخاص للشعب اليهودي وما تميّز به هذا الشعب من انغلاق وضيق أفق، فرغم الإسم الجديد، بقي يهوه يذكر في التوراة باسمه القديم «إيل»، كما رأينا في سفر الخروج، وباسم آخر مشتق من إيل هو «إيلوهيم». وهذا الشكل الثاني للإسم يتكرّر في معظم أسفار التوراة ولكن قارئ التوراة باللغة العربية لا يعثر عليه، لأن من نقل التوراة إلى العربية استبدل كلمة «إيلوهيم» بكلمة «الله» ورغم أنّ كلمة إيلوهيم لا ترد في النصوص الكنعانية، إلا أنها ليست من نحت عبراني، إذ نجدها في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام على شكل «اللهم».

ويبدو أنها من تراث الإبراهيمية الإسماعيلية (نسبة للنبيّ إبراهيم وابنه إسماعيل) فالمصادر العربية تذكر أنّ بعض القبائل العربية زمن الجاهلية، كانت تقول إذا أهلّت في الحجّ «لبّيك

(1) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص362.
(2) مهدي (فالح)، المرجع السابق، ص90.

اللهمّ لبّيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك فيملكه وما ملك»[1].

ومن هنا نرجّح أنّ أصل كلمة «يهوه» آرامية/ كنعانية وأنها كانت سائدة في بلاد كنعان وفي شبه الجزيرة العربية قبل وبعد دخول العبرانيين (بني إسرائيل) إلى أرض فلسطين، هذا عن أصل التسمية. وبالعودة مجددًا إلى المنقذ اليهودي «يهوه» نشير إلى أنه في البدء لم يحل (الله) في إنسان أو يتجسد فيه إنما كان موجودًا في كل شيء، وهذا يعني أن (الله) لم يكن قد تبلور عند بني إسرائيل كمفهوم واقعي باعتباره موجودًا في كل شيء وإنما يتحقق فعله في اللحظة الإبداعية، يفرح فيثيب، ويغضب فيبطش... فهو الحامي والمدافع والناصر لبني إسرائيل. واعتبر (الله) بمرور الزمن مصدرًا لكلّ شيء فهو مصدر الخير ومصدر الشرّ وإله الظلام وإله النور.. إله الحبّ والفرح وإله الدمار والخراب[2] ولهذا يحقّ لنا أن نتكلم عن هذا المنقذ في مرحلتين قبل السبي البابلي والثانية بعده، وهذا وغيره يجعل من «يهوه» إله بني إسرائيل وحدهم باعتبارهم الشعب المفضل عنده، ونجد في أسفارهم وكتبهم المقدسة وصفًا للإله «يهوه» فيقول الرّب (المنقذ)، في هذا السفر «أنا أنا الرّب وليس غيري مخلص»[3].

---

(1) ابن هشام، **السيرة**، ج1، ص82. البوطي (د. محمد سعيد رمضان)، **فقه السيرة: مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان ودار الفكر، دمشق/ سورية (د.ت)، ص58. السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص363.

(2) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص91.

(3) **الكتاب المقدّس، العهد القديم**: (سفر آشعيا 43: 11).

وترتب على ذلك حسب اليهود أنهم شعب مختار ودلّلوا على هذا الاختيار وتلك العلاقة بين الله والعبرانيين (بني إسرائيل)، بأنها حدثت نتيجة لعقد زواج بينهما، وكانت السموات والأرض شهودًا لهذا العقد[1].

ومن صفات «يهوه» المنقذ للعبرانيين أن أوّل صفة يتّصف بها «يهوه» أنه ليس معصومًا عن الخطإ، وكثيرًا ما يقع فيه، وفي كلام الرّبّ إلى صموئيل يظهر ندم الرّبّ على أنه جعل شاؤول ملكًا لأنه رجع من وراء الرّبّ، ولم يقم كلامه[2] وإنّما ذكرنا بعض أعمال وصفات الإله اليهودي «يهوه» الذي أخذ شخصية الإله بعد السبي البابلي لنرى ماذا حدث من تطوّرات في هذه الشخصية الإنقاذية.

والملاحظة أن هذه الشخصية الإنقاذية أصبحت تتميّز بثلاث صفات كانت نتيجة لتأثر الفكر اليهودي بالفكر الزرادشتي الذي كان منتشرًا في بابل وتتمثّل هذه الصفات بالنقاط التالية:

أولاً: انتقال عبادة يهوه من التخصيص إلى التعميم، أي أصبح يهوه بعد السبي البابلي عالميًا يرعى كل البشر ويحافظ عليهم وليس مقتصرًا على العبرانيين (بني إسرائيل).

ثانيًا: إنّ الله لا يأتي إلّا بالأعمال الخيّرة والصالحة للإنسانية، أما الأعمال الشريرة فهي من عمل الشيطان ومملكته

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص92.
(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم**: (سفر صموئيل 15: 10 ـ 11).

في معارضة تامة لله والاثنان في نزاع دائم، ونهايتها تكون بانتصار الخير على الشر.

ثالثًا: إنّ الله لا ينقذ بني إسرائيل بنفسه وإنّما سيرسل إليهم منقذًا هو «المسيح المنتظر» والملاحظ أن كلمة المسيح لم تعن المنقذ في الأصول الأولى للديانة اليهودية ولكنها أصبحت مرادفة لكلمة المنقذ الذي سيظهر من بيت داود[1] وهذا ما جعل فكرة المنقذ المنتظر تتبلور بعد كلّ هذه الأحداث والتطوّرات إضافة للبؤس والشقاء الذي ألمّ بهم.

2 ـ المنقذ موسى:

يُعتبر موسى أهمّ شخصية في التاريخ اليهودي، فهو المنقذ والمخلص الذي قاد قومه من بني إسرائيل من أرض مصر إلى أرض كنعان لكي يخلق منهم شعبًا متميّزا له مقوماته. وقبل التطرّق إلى شخصيّة موسى المخلص لبني إسرائيل لا بدّ لنا من وقفة مع هذه الشخصية حيث أضفى عليها البحث العلمي الحديث بعدًا آخر يختلف بشكل جذري عمّا جاء في الكتب المقدسة.

---

(1) Gelin. (A) «The letter prophets» in, **Introduction to the old testement**, Ed. By Arobert and A. Feuillet, Doubleday and Co.N.Y. 1970, Vol I, P310; Greshom (Sholem), **The Messianic idea in Judaism and other Essays on Jewish Spirituality**, Shochen Books, N.Y, 1971 P 5; مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص95. (د. أحمد محمد خليفة حسن)، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قبا، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، 1998م، ص164.

ويشير القصص الديني إلى قرار فرعون مصر بقتل أطفال العبرانيين بعد تشاوره مع أركان دولته نظرًا لتزايد عددهم وخوفه على نفسه ودولته من خطرهم. وفي هذه الفترة ولد موسى، ومن أجل فهم أكبر لقصّة ولادة موسى وما رافق تلك القصة من أساطير نشير إلى أنّ النص التوراتي يتطرق لدور ابنة فرعون في تخليص موسى من الخطر المحدق به وإنقاذه[1]، حيث يتجلّى لنا عبر ابنة فرعون ذلك الدور المرسوم للألوهة المؤنثة في تاريخ الحضارة التي ظلت بعيدًا عن دور القهر الاجتماعي والاضطهاد السياسي الذي يواجهه نفسيًّا موسى داخل مصر ويبدو الدور المرسوم أسطوريًّا حسب النص التوراتي الموكول لابنة فرعون هو محاولة أيضًا لإعلان القداسة التي يتمتع بها المولود منذ لحظة ولادته. فاقترن إنقاذه بابنة فرعون... ولا بدّ أن يكون لها دور آخر، هو دور صياني قادر على حماية المولود عبر سلطتها السياسية والاجتماعية، لأنها ابنة الملك، وبإمكانها إنقاذه حيث لا أحد يتجرأ على السؤال حول المولود الذي تمّ انتشاله من النهر. كما أنّ دور ابنة الملك قد عزّز أكبر القدسية التي منحها العقل الشعبي لموسى وذلك عندما تسلّل من يد ابنة الملك واستقر في حضن والدته الحقيقية. فالوصول إلى ابنة فرعون واكتشافها للسلّة هو نهاية مقبولة لأسطورة المنقذ[2].

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم**: (سفر الخروج 2: 1 ـ 10).

(2) المعموري (ناجح)، **موسى وأساطير الشرق**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان/الأردن، 2001م، ص39.

وتاريخ القصص الإنساني حافل بمثل هذه القصص عن الأبطال والمنقذين وكيف تداخلت الأحداث لصالحهم وإن اختلف أشخاص الأطراف الذين أنقذوا هؤلاء الأبطال المخلصين مثال أسطورة «باريس» فإن الوسيط المنقذ رجل يمارس عمليات الخدمة في القصر[1] فقصة ولادة «برسيوس» فيها الكثير من الإثارة المرتبطة عادة بنشأة الأبطال الخارقين، فالأسطورة لم تكتف بميلاد «برسيوس» بالتخلص من الحفيد الذي نازع جدّه على العرش، بل وضعت بنت الملك (الأم) مولودها في تابوت واحد وألقت بهما إلى البحر، حتما كان التابوت كبيرًا لأنه استوعب اثنين معًا، الأم ووليدها. وتنفرد أسطورة ميلاد «برسيوس» بهذه الوظيفة الجديدة، ولم تشترك معها واحدة من الأساطير[2] وبالعودة مجددًا إلى مسار المنقذ اليهودي موسى وكيف أصبح منقذًا لشعبه نستحضر إشارة هامة في النص التوراتي «وظهر له ملاك الرّبّ بلهيب نار من وسط عليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقّدُ بالنار والعليقة لم تكن لتحترق فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة فلما رأى أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى، موسى فقال: ها أنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدّسة»[3]. وهناك أعطاه الله الرسالة وأمره أن يذهب إلى

(1) المعموري (ناجح)، المصدر السابق نفسه، ص40.

(2) المعموري (ناجح)، **موسى وأساطير الشرق**، ص41 ـ ص42.

(3) **الكتاب المقدّس، العهد القديم**: (سفر الخروج 2 ـ 5).

مصر لإنقاذ شعبه من ظلم وجور الفرعون[1] وإن مشيئة الرّبّ قضت بأن يفضّل الله شعبه - أي شعب يهود - على بقية الشعوب وأن يرسل إليهم هذا المنقذ لتخليصهم ممّا هم فيه.

وقد نشأ عن هذا الإيمان في عقلية اليهود القومية تخيلان أساسيان: الأول اعتقادهم أنهم شعب الله، وبأن الله أرسل نظرية الترفع القومي، والثاني نظرية ظهور المنقذ عندما تنزل بهم النوازل. وبعد محاولة سرد قصة موسى كما وردت في التوراة نحاول الآن أن نتعرف على شخصيته في ضوء البحوث العلمية التي تكلّمت عنه، وأول ما سيلفت النظر هو هل شخصية موسى حقيقية أم مجرّد أسطورة؟ وحقيقة الأمر أنه ليس لدينا أية معلومات عن شخصية موسى سوى ما ورد في الكتب المقدّسة وتراث اليهود ولكن بالرغم من أن وجوده يفتقر إلى اليقين التاريخي إلا أنّ الأغلبية الكبرى من المؤرّخين يعتقدون أن موسى كان يعيش حقًّا[2] وسبب إثارة مثل هذا التساؤل عن موسى المنقذ «لشعب يهوه» يعود إلى تشابه قصة ولادته مع القصة الأسطورية لولادة سرجون الأكادي وتقول هذه الأسطورة «أنا سرجون، الملك العظيم، ملك أكاد، كانت أمّي سيّدة عفيفة ولا أعرف لي أبًا، ولكن شقيق والدي يجوب الجبال في بلدتي «أوزوبيراني» «Azupirani» على ضفاف الفرات حملت أمّي - السيدة العفيفة - بي فولدتني سرًّا، ووضعتني في سلة من البردي أغلقت فوهتها بالقار وألقت بي في النهر، ولكن التيار لم يجرفني وإنما حملني إلى

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم**: سفر الخروج III: (6 - 10).
(2) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص97 - ص98.

«أكي»/ «Aki» الذي كان يسحب الماء، وبسبب طيبة القلب «أكي» الذي يسحب الماء رفعني من المياه، وربّاني كابنه»[1]. وهذا التشابه في معتقدات الشرق الأدنى القديم وأدوار الأبطال والمخلصين في كل حضارة مردّه تلك الذاكرة الجماعية المشتركة لشعوب وحضارات المنطقة وذلك التثاقف إما بالاحتكاك السلمي أو الغزو ولا ننسى المجال المشترك لشعوب وإثنيّات منطقة الهلال الخصيب وذلك الحراك القبلي الذي عرفه بنو إسرائيل في أكثر من مرحلة ومحطّة تاريخية سواء في بلاد كنعان أو في مصر.

بعد ذلك نقول إنّ النهاية التي حصلت لموسى كانت أساس التوقعات بمقدم المسيح إذ وجد في سفر «النبي هوشع» آثارًا مهمة لها دلالة عميقة تؤكد أن موسى الذي أنقذ شعبه من ظلم المصريين لقي نهاية مروّعة في تمرد قام به شعبه العتيد العاصي وأدّى إلى قتله وأنّ الديانة التي جاء بها قد هجرت في نفس الوقت[2]. والواقع أن هذه المأثورة قد وردت في كتابات معظم الأنبياء ففي أواخر عهد السبي البابلي انبثق الأمل بين اليهود في أنّ الرجل الذي اغتالوه سوف يعود ليقود شعبه النادم التائب وكان هذا الأمل نتيجة الشعور بالخطيئة تجاه القائد الذي حرّرهم وأساس التوقّعات بمقدم مسيح منتظر[3].

---

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص99 ـ ص100. الصفدي (د. هشام)، **تاريخ الشرق القديم: (الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية، بلاد الرافدين حتى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد)**، منشورات جامعة دمشق، 1421هـ/ 1992م، ص178.

(2) راجع **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر هوشع: 1 ـ 14).

(3) راجع **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر هوشع: 1 ـ 10).

3 ـ تعدّدية المنقذين عند اليهود:

* قورش الفارسي منقذًا لليهود:

كما هو معروف للجميع بأن قورش شخصية فارسية فما الذي دعا اليهود إلى اعتباره مسيحًا ومنقذًا ونحن نعلم أنّ العبريّين (بني إسرائيل) متعصبون لجنسهم لا يرتضون بقادة من غيرهم، إضافة إلى أن أسفارهم المقدسة أكّدت في مرّات عديدة على أنّ المسيح المنتظر سيكون من بني داود؟ ونجد في سفر النبي هوشع ما يشير إلى ذلك «لأن أبناء إسرائيل يمكثون أمدًا طويلًا من غير ملك أو أمير من غير ذبيحة ولا تماثيل ولا أفود ولا ترافيم. ثم يرجع أبناء إسرائيل ويطلبون الرّبّ إلههم وداود ملكهم (أي المسيح)، ويلتمسون برهبة الرَّب وَجُودَهُ في آخر الأيّام»[1] ولكي نعرف رأي اليهود حول منقذهم ومسيحهم الفارسي المنتظر، لا بدّ لنا من تسليط الضوء على ولادة هذا المسيح المخلّص الفارسي «قورش» ومثل غيره من الأبطال والمخلّصين كانت لقورش ولادته التي أحسنت مخيالات الفرس في نسج أسطورتها، حيث كان للرؤيا والماء الجاري الذي يرمز لاستمرار الحياة والخصب وتواصل الجنس البشري معانيه ومرموزاته، وكان للكهنة المجوس قراءتهم التأويلية لتلك الرؤيا وتفسير الحلم الخاص بابنة الملك استيانس جدّة المخلص قورش لأمه. وكان إجماع الكهنة حول ذلك وهو ولادة حفيد له سيأخذ منه الملك[2] فزوّجها والده

(1) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر هوشع: 3: 4 ـ 5).
(2) باقر (طه)، **مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد/العراق، 1956م، جII، ص401.

الملك من رجل ينتمي لأصل شريف في فارس اسمه قمبيز ولكنه رأى حلمًا آخر كأنّ كرمة (شجرة عنب) نمت تحت رحم ابنته وظلّلت جميع آسيا[1].

لقد كانت هذه الولادة وما رافقها من أساطير عن المخلص قورش بداية وتبشيرًا بأن يكون حكيمًا ونبيًّا عظيمًا أو قائدًا منقذًا للعالم من الظلم والبؤس الذي حلّ به وربّما أدرك قورش الجوانب الخيّرة في شخصه، لذلك فإن الأساطير التي حيكت عن هذا الملك الفارسي ونسبه الشريف المنحدر من تلك الأسر الفارسية القديمة، قد مهّدت الطريق ليكون قورش هو الرجل صاحب الشأن العظيم.

إذن كيف تحقّق أن يكون قورش مسيحًا منتظرًا لبني إسرائيل؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من الرجوع إلى أسفار العهد القديم التوراة، فبعد السبي البابلي لليهود الذي تمّ على يد نبوخذ نصر (حكم ما بين 605 ـ 562ق.م ويعرف بالعربية نبوخذ نصر)[2]، ويوجد شبه إجماع على أنّ «نبوخذ نصر» (بخت نصر) إمبراطور بابل قد جرّد بالفعل حملات عسكرية وصلت في مداها

(1) باقر (طه)، **مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة**، جII، ص401.
(2) ويرد في سفر أخبار الأيام الثاني (36: 6) باسم «بخت نصر» والتهجئة الصحيحة باللغة الأكادية «نبو ـ كودوري ـ وشق»، الدبش (أحمد)، **كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب**، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق/سورية، 2006م، ص221.

إلى جبال اليمن[1]. وقد حفلت أسفار التوراة بأخبار هذا الملك الكلداني وما فعله بـ«شعب بني إسرائيل» فقد وضع حدًّا لمملكة يهوذا ودخل «أورشليم» وانتقم من «الملك صدقيا» واقتاده أسيرًا إلى بابل وسبى كثيرًا من اليهود إلى بابل واستبقى كما تشير الأسفار التوراتية المساكين والفلاحين[2] وقد ولّى بنو نصر لحكم الشعب الذي بقي في أرض «يهوذا: جدليا بن آخيقام ابن شافان»[3] وقبل التطرّق لدور المخلص الفارسي لشعب بني إسرائيل «قورش»، لا بدّ من الإشارة إلى وجود دراسات حديثة تشكك في عملية السبي البابلي واقتياد اليهود من أرض فلسطين إلى العراق وإنما الذين تمّ أسرهم هم يهود شبه الجزيرة العربية[4] وربما تأتي الحفريات واللقى الأثرية بالجديد والإجابات الشافية لكل التساؤلات المطروحة. إذن وحسب السياق التوراتي كان اليهود في فترة السبي البابلي وبتلك الأرض الغريبة ينتظرون في ذلك الوضع منقذًا يخلّصهم مما هم فيه من كرب وبلاء ولا بدّ أنهم انتظروه مدّة طويلة ليأتيهم على «سحب السماء»، ولمّا طال

(1) الحميري (نشوان بن سعيد)، **منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم، ودواء كلام العرب من العلوم**، دار الفكر، دمشق 1981، ص37.

(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك II، 25: 1 ـ 13).

(3) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك II، 25: 22).

(4) الدبش (أحمد)، **كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب**، ص221 ـ ص228، كذلك دراسته موضوع الاهتمام والإثارة **موسى وفرعون في جزيرة العرب**، دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق/ سورية، 2007.

الانتظار وضعف الأمل في المنقذ المنتظر من «آل داود» انسحب تفكيرهم إلى منقذ من خارج «بني إسرائيل» له الإمكانية الواقعية لتبديل واقعهم المرير إلى واقع مزدهر، يعيد لهم مملكتهم في فلسطين حسبما يدّعون وقد مهّدت الطريق لبروز قورش الفارسي تلك النبوءات الصادرة عن الكهنة اليهود والتي تتكلم عن هذا المنقذ الجديد الذي أرسله رب إسرائيل «يهوه» لإنقاذهم، وأهمّ تلك النبؤات نبوءة «النبيّ دانيال» الذي رأى رؤيا تبشّر بمولد منقذ جديد كما جاء في الإصحاح الثامن من سفر النبيّ دانيال: «في السنة الثالثة من ملك بيلشاصر الملك ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء، فرأيت في الرؤيا وكان في رؤياي وأنا في شوشان القصر الذي في ولاية عيلام ورأيت في الرؤيا، وأنا عند النهر أولاي فرفعت عيني ورأيت، وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد أعلى من الآخر والأعلى طالع، أخيرًا رأيت الكبش ينطح غربًا وشمالًا وجنوبًا فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم وبينما كنت متأملًا إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ولم يمس الأرض وللتيس قرن معتبر بين عينيه وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذي رأيته واقفًا عند النهر وركض إليه بشدة قوّته ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسّر قرنيه فلم تكن للكبش قوّة على الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه ولم يكن للكبش منقذ من يده»[1]. ثم جاء في نفس السفر أن الملك جبريل ظهر له وشرح

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر النبيّ دانيال، 8: 1 ـ 8).

الرؤيا قائلًا إنّ الكبش ذا القرنين يحتل اتحاد المملكتين مادا وفارس، إذ يستولي على الحكم ملك قويّ لا تقدر على مواجهته كل الدول أما التيس ذو القرن الواحد الذي حارب الكبش فهو ذو القرنين ـ كما جاء في الرؤيا ـ فالمراد به ملك اليونان، والقرن البارز بين عيني التيس يدلّ على أول ملك من اليونان[1] (أي الاسكندر المقدوني). وتعتبر رؤيا دانيال بشارة لليهود بأن نهاية أسرهم ببابل وخلاصهم منوطان بقيام هذه المملكة ذات القرنين أي أن ملك مادًا وفارس يغير على ملك بابل ويتغلب عليه ويحرّر اليهود من أسرهم، وفعلًا تحقق الحلم وأصبحت النبوءة ـ إذا صحّت طبعًا هذه الرؤى لأن أغلب هذه الروايات كُتبت بعد خلاصهم من الأسر وهذا ينطبق على توقعاتهم ونبؤاتهم ـ[2] واقعًا فإن قورش قد حقّق انتصاره الأول في الغرب والثاني في الشرق والثالث في الجنوب أي في بابل وكذلك تحقّقت النبوءة بخلاص اليهود، فقد أنقذهم قورش من الأسر وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد[3]. ولم تكن نبوءة دانيال الوحيدة كما أسلفنا القول فقد وجدت نبؤات في سفر «النبيّ آشعيا» وسفر «النبيّ آرميا»، «نجد في الأوّل منها اسم غورش بعينه وإنه كان النطق به في العبرية «خورش» ويعتقد اليهود أن كتاب آشعيا ألّف قبل غورش بمائة وستين سنة، وكتاب آرميا بستين سنة»[4].

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك II، 15: 36).
(2) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص109.
(3) مهدي (فالح)، المصدر السابق نفسه، ص109.
(4) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص109.

وقد جاء في سفر النبيّ آشعيا أن الرّبّ قد أخبره بتعمير أورشليم وستبنى مدن أورشليم بعد خرابها، وأن الرّبّ قد ذكر أنه أرسل عبده المرسل من قبله قورش ليتمّ مسيرة الرّبّ في بناء أورشليم[1] وقد اعتبرت الديانة اليهودية قورش مسيحيًا منقذًا مرسلًا من قبل الله فقد هتف النبيّ آشعيا للملك قورش.

وأطلق عليه لقب مسيح الرّبّ إذ جاء في سفر آشعيا «هكذا يقول الرّبّ لمسيحه، لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا، وأحقاء ملوك آحل، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب التي لا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب امهد، أكسر مصراعي النحّاس، ومعاليق الحديد أقصف، وأعطيك ذخائر وكنوز المخابئ، لكي تعرف أنّي أنا الرّب الذي يدعوك باسمك، إله إسرائيل»[2].

ويظهر النص التوراتي الأخير أن الله قد اختار مسيحه وعبده قورش لإنقاذ شعبه المختار وأرسله لخلاصهم الأبدي وكما يظهر فإن الله هو الذي يسير أمام المسيح قورش ويمهّد له الطريق ويفتح له كل الأبواب المغلقة فهو المنقذ لإرادة الله وقد كان لظهوره والنبؤات التي قيلت عنه تأثير كبير على النفسية اليهودية التي مازالت تأمل ظهور منقذ كلما أصابت اليهود مصيبة، ويكون الخلاص بعدها بمجيء المسيح الموعود.

---

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر النبي آشعيا، 45: 36 ـ 38).

(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر النبي آشعيا، 45: 1 ـ 5). مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص110. الدبش (أحمد)، **كنعان وملوك بني إسرائيل**، ص229.

*** تعددية النبوّة الإنقاذية:**

تعدّ النبوة بين صفوف بني إسرائيل من الظواهر التي تستدعي الانتباه، فحسب الكتب (المقدسة وقصص الأنبياء والإسرائيليات المبثوثة في كتب الأخبار فإن عدد الأنبياء عندهم يفوق سواهم في الأديان الأخرى، أيًّا تكن طبيعتها، فأعداد هؤلاء الأنبياء يبلغ الخمسين في سفر الملوك الثاني[1]، وفي سفر الملوك الأول نقرأ عن أربعمائة نبيّ في مكان واحد[2] كما سبق أن أشرنا إلى العدد الضخم من الأنبياء ومن الواضح أن أدوارهم جميعًا إنقاذية نتيجة الردّة في صفوف «شعب بني إسرائيل» لإرجاعهم إلى دين المعبود «يهوه» إله إسرائيل ثم نتكلّم عن ظهور الأنبياء في فترات تتّسم باليأس حيث يظهر كثير من الأنبياء، فكانوا يأتون بكثير من المعجزات للتأكيد على إمكانية تخليصهم للشعب ومقدرتهم على إنقاذه[3] وأنّ الله وعد المنقذين الذين أرسلهم إلى الأرض ليعطيهم الأرض فقد وعدهم بأنه سينصرهم على أعدائهم[4].

وحسب النصوص التوراتية فإن الله قد وعد مرسليه إضافة إلى الأرض والانتصار الحربي بحياة مزدهرة حيث يكثر الرزق وتخصب الأرض وتينع وتكثر الخيرات وتنعم وترتع البهائم[5]

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك (II).

(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الملوك (I).

(3) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص113.

(4) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الخروج (III: 10-11)؛ (سفر التثنية VII: 1-5، VII: 8-9، 20، IX: 1 ـ 3).

(5) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر التثنية VII : 12-14)؛ (سفر التكوين VIII : 15).

فنرى من النصوص السابقة أن الله وعد أنبياءه بالأرض والازدهار وبحبوحة العيش والانتصار الحربي متى سلك بنو إسرائيل مسلك الأنبياء واتبعوا أقوال هؤلاء المنقذين وعملوا بأوامرهم.

وكما لاحظنا من النصوص السابقة أن فكرة المنقذ عند بني إسرائيل وفي الأحوال الطبيعية تنحو منحى ماديًّا بعيدًا عن المفاهيم الغيبية، حيث لا يفكّر بنو إسرائيل في منقذ منتظر إلا عندما يصيبهم البؤس والشقاء وبذلك تتبدّل مهمّة المنقذ حسب الأحوال، فإذا كانت الأحوال طبيعيّة تكون مهمة المنقذ زيادة المكاسب والحفاظ عليها، وإذا كانت الأحوال سيئة تكون مهّمة المنقذ فكّ الأغلال عن رقبة شعبه[1] ومن بين هؤلاء المنقذين الذين ظهروا في تاريخ «بني إسرائيل» «القضاة الاثني عشر» باعتبارهم أنبياء منقذين «لبني إسرائيل». وحول التسمية نشير إلى أنّ قضاة تعني «شوفطيم» في اللغة العبرية، وتؤدي هذه اللفظة عندهم معنى الحكم والسلطة الإدارية، والمنقذ وهذا النوع من الحكم هو حكم عسكري مطلق، وقد سمّوا أيضًا مخلصين لأن إقامة أحدهم كانت لتخليص الشعب من أيدي الأعداء[2].

ولو رجعنا إلى سفر القضاة لوجدنا أن حقبة القضاة كانت 35 سنة ويحتوي السفر على واحد وعشرين فصلًا فيها كثير من أعمال البطولة والأعاجيب الخارقة في وصف القضاة[3]. وفي

(1) Gelin. (A), «**The letter Prophets**», Vol I, P3 10.

(2) كامل (مراد كامل)، **الكتب التاريخية في العهد القديم**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة/مصر 1968م، ص62.

(3) دروزة (محمد عزّة)، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/مصر، 1952م، ص122 ـ 123.

المجمل نستطيع القول إن عدد القضاة الاثني عشر مرتبط بمسألة الأبراج البابلية الاثني عشر وسيتكرر هذا الرقم برمزيته وقدسيته عند النصارى من خلال الحوَاريّين الاثني عشر وفي الإسلام يتكرر معنا نفس العدد في أشخاص الأئمة الاثني عشر من آل البيت النبوي وآخرهم هو المهدي المخلّص للمظلومين في أنحاء العالم حسب المعتقدات الإسلامية الشيعيّة.

إذن تعدّ قضية المسيح المنتظر من القضايا الهامّة في الفكر اليهودي، وقد تحدّث عنها معظم الأنبياء والمنقذين الذين تناولتهم التوراة من أجل تطهير العالم وخلاصه من الظّلم والبؤس ومن أجل سيادة السلام والعدل، ففي سفر زكريا نقرأ عن دخول المسيح المنقذ إلى القدس وهو راكب حمارًا رمز السلام، وليس حصانًا رمزًا للحرب، وأن نفوذه سوف يمتدّ من البحر ومن نهر الفرات إلى نهاية الأرض[1].

والملاحظ أن الأمل بالمسيح نجده في الكثير من المزامير التي يجهل تاريخها وتنسب للنبيّ داود[2] وفي سفر النبيّ دانيال[3] نقرأ عن ابن الإنسان الذي يأتي على سحب السماء ويعطى المجد والملك ومملكة تخدمها جميع الأمم والشعوب[4].

وفي وصايا القضاة الاثني عشر فإن المنقذ يرجع أصله إلى قبيلة «لاوي» ويظهر كمحارب مهشم للشرّ[5]. ويقول «النبي آشعيا»

(1) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر زكريا IV: 9 ـ 10).
(2) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (المزامير II: 7 ـ 12، 62...).
(3) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر النبيّ دانيال VII: 13 ـ 14).
(4) Gelin. (A), «**The letter Prophets**», Vol I, P3 10.
(5) Gelin. (A), Ibid, Vol I, P 30.

إنّ دولة داود الجديدة ستقوم على العدالة والحق وستشمل كل العالم «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد غيرة رب الجنود تصنع هذا»[1].

إذن يُعدّ المسيح المخلص من الإضافات النبوية الأخرى لديانة بني إسرائيل. وهي عقدية نشأت لعوامل سياسية، وتحولت تدريجيًا إلى عقيدة دينية ثابتة من عقائد اليهودية، فقد أدى انقسام مملكة داود وسليمان المتحدة إلى مملكتين شمالية وجنوبية، آلتا إلى السقوط ممّا أدّى إلى نشأة وتبلور فكرة سياسية صبغت بصبغة دينية في زمن السبي البابلي هدفها تعويض سقوط المملكة الأرضية وجعل الأمل في إمكانية بعثها في المستقبل باقيًا[2] وهذه الفكرة الدينية سمّيت «بالمسيحانية» وهي فكرة غيبية حشرية تقوم على أساس الاعتقاد في قدوم مسيح مخلّص وظيفته السياسية تحقيق الخلاص القومي لشعبه، ثم أضيفت إلى هذه الوظيفة السياسية وظيفة دينية تعطي للمسيح المخلّص دور تحقيق الخلاص الديني لشعبه، وبواسطة المزج بين الوظيفة السياسية والدينية للمسيح المخلص نشأت فكرة إقامة مملكة «الله السماوية» لتعويض المملكة الأرضية. ومن هنا فقدوم

(1) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر النبيّ آشعيا IX : 6 ـ 7).

(2) أحمد (د. محمد خليفة حسن)، **تاريخ الديانة اليهودية**، ص163.

المسيح المخلص سيحقّق إقامة مملكة الله على الأرض في نهاية الأيام[1].

ووضعت له في التراث اليهودي شروط وعلامات أهمها انتسابه إلى بيت داود، والقيام بأعمال بطولية خارقة للطبيعة البشرية[2].

هذه البسطة القرائية وما رافقها من أمثلة متعدّدة عن انتشار الفكر الإنقاذي وفلسفة الخلاص الدينية «المسيحانية» في فكر أنبياء بني إسرائيل سواء ما قبل السبي أو بعده تشير كلها إلى داود كرمز ومثال ونموذج للملك الذي سيأتي في نهاية الأيام، وهكذا يمكن القول في النهاية إنّ تفكير الأنبياء قد تمركز حول شخصيتين محوريّتين الأولى شخصية النبيّ موسى الذي اعتبر مثالًا للمشرّع، وداود الذي اعتبر نموذجًا للملك المخلص[3]. وفكر الأنبياء هو فكر العودة إلى الديانة في شكلها الموسوي، والعودة إلى الملك في شكله الداودي في محاولة لاسترداد دين موسى ومملكة داود، وهذا المسيح الموعود المخلص لبني إسرائيل حسب مفاهيم يهود آنذاك ليس المسيح النصراني الذي ستكون لنا وقفة استكشافية معه.

---

(1) Abba hillel. (Silver), A **history of Messianic speculation in Israel form the first to seven teenth centuries**, beacom press Boston, 1959, P IX.

(2) Greshom. (Sholem), **the Messianic Idea in Judaism and other Essays on Jewish spirituality**, Schochen books, N.Y, 1971, P 5.

(3) أحمد (د. خليفة حسن)، **تاريخ الديانة اليهودية**، ص165.

د ـ المخلّص عند النصارى:

إن جوهر النصرانية هو العقيدة الخلاصيّة والتي تقول بأنّ المسيح قد نال من الله قوّة إلهية بحكم كونه مخلصًا، وأن ذلك قد تمّ في اللحظة التي نال بها المعمودية على يد يوحنا المعمدان (النبيّ يحيى)، في نهر الأردن[1].

والمسيح المخلص حسب إحدى المجموعات «اليهودية ـ النصرانية» «المسمّاة» «الكزائيون» بعث ليطهّر ناموس موسى، ويعيد الديانة الحقيقية، ويتمم رسالته[2]. ولمعرفة معتقد الخلاص الذي هو أساس وجوهر الديانة المسيحية لا بدّ لنا من الانفتاح على ثقافات الشرق الأدنى القديم والتي تطرقنا إلى كثير من جوانبها ونحن في غمار الدراسة حول الفكر الإنقاذي، وسوف نلامس بعض جوانبها الأخرى في دراستنا للمخلص عيسى «يسوع» المسيح لذلك لا بدّ لنا من الرجوع إلى الفكرة النشأوية للمسيحية كما رسم لبناتها الأولى آباء وقديسّو الكنيسة الأوائل انطلاقًا من التوراة (العهد القديم)، وسيرة يسوع المسيح، وأعمال الرسل وبشكل خاص «بولس» وفكر أولئك الآباء المتأثّر بالحصيلة الثقافيّة لمنطقة الشرق الأدنى القديم الغنيّ بتراثه الفكري المتنوّع.

فمنذ القديم كان هناك الإله الأب والإله الابن والروح القدس، ثلاثة في واحد، وقبل أن يتجسّد الابن في هيئة بشرية

(1) الصبّاغ (عماد)، **الأحناف**، ص108.

(2) الصبّاغ (عماد)، المرجع السابق، ص108.

ليغدو يسوع الناصري وقبل أن يهبط الروح القدس في هيئة حمامة نارية مبشّرًا مريم، كان الإله الابن الكلمة ـ اللوغوس المولود الوحيد للإله الأب يصدر عنه منذ الأزل، ومنذ الأزل كان الروح القدس ينبثق منهما معًا ويغلق الدارة بينهما. ثلاثة في واحد إله قديم غير مخلوق، لم يظهر أقنوم من أقانيمه قبل ظهور الآخر، ولم يمرّ وقت لم يكن فيه الثلاثة معًا في واحد. دارة حب مغلقة مكتملة مكتفية، فاض بها العطاء فأرادت أن تخلق لا عن حاجة إلى الخلق وإنما عن حريّة مطلقة وهكذا وبأمر من الكلمة تمّ خلق أولى الكائنات المفارقة للطبيعة الإلهية وهم الملائكة، مخلوقات نورانية أحاطت بالنور الأعظم في هالات، هالة بعد هالة، كلّ هالة تحتوي على رتبة من رتب الملائكة، أعلاها رتبة الكيروبين يليها السرافيم وصولًا إلى الملائكة العاديين[1].

والقول بعقيدة التثليث يؤكد التأثر بالسابقين والأخذ عنهم، إذ تواجدت عند جميع ديانات وشعوب منطقة الشرق الأدنى القديم حيث نتكلم عن الثالوث المصري المتكوّن من ثلاثة آلهة[2]، ولعلّ البابليين هم أوّل من قال بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد[3].

ويذهب البعض إلى أنّ عقيدة الثالوث لها ارتباط بعبادة الأبطال منذ فجر التاريخ، حيث كان الناس يعبدون البطل لعمل

---

(1) Walts. (Allan), **Myth and Ritual in Christianity**, Thames and Hudson, London, 1954,PP27-37.

(2) الفاضلي (د. داود علي)، **أصول المسيحية**، ص207.

(3) شلبي (د. أحمد)، **مقارنة الأديان المسيحية**، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة/مصر، (طII)، 1965م، ص93.

رائع قام به ثمّ يتّخذ البطل له زوجة فتحتلّ معه مكان الألوهية، ويمرّ الزمن فيهرم البطل ويمنعه هذا الهرم من ممارسة مسؤولياته، فيدرّب أشجع أولاده على أعمال البطولة ليتولّى مكانة أبيه فيما بعد، ويتمّ بذلك الثالوث[1].

إذن منذ البداية كان الرّبّ عارفًا بما ستجرّه حرّية الاختيار بين «إبليس» و«آدم الإنسان»، من فساد للكون وكان عليه الآن أن يقدّم الدواء للعالم الغارق في الظلمة[2]. والخطيئة والموت، وذلك بالحلول في عالم الخلق ودخوله نفسه دورة الحياة والموت من أجل رفع لعنة الموت وحمل خطايا البشرية. فهو الوحيد القادر على تقديم القربان الكامل الذي من شأنه تحرير الخليقة من لعنتها البدئية وخطيئتها الأصلية الأولى، وهكذا هبط الابن من عليائه وعاش بين الناس ردحًا قصيرًا، ثم مات على الصّليب مقدّمًا لمن آمن به حياة أبدية، فإذا كان آدم الأوّل أبو البشرية يموت الكل، فإنه بآدم الثاني يسوع المسيح، الكلّ يحيا وإذا كانت حواء الأولى قد قدّمت ثمرة الموت، فإن حوّاء الثانية وهي السيّدة مريم قد حملت بثمرة الحياة، وهذا ما نقرؤه للقديس «مار أفرام السرياني»: «إن البتول دعتني لأرنّم سرّ بتوليتها العجيب، فأعطني يا ابن الله منك معجزة، ومن عطيتك هذه أعنّي على كنارتي فأرسم صورة والدتك بهية.. البتول مريم ولدت ابنها بالقداسة وأرضعت حليبها مرضع البرايا، وحملت ركبتاها حامل الكون، وهي بتول وهي أمّ.. فلتفرح بمريم جميع أجواق العذارى لأن

(1) شلبي (د. أحمد)، المرجع السابق، ص93.

(2) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص395.

واحدة منهنّ قد أنجبت ووضعت الجبّار الحامل البرايا، وبه البشرية المستعبدة حرّرت.. فليفرح بمريم آدم الأول الذي لسعته الحية، فمريم أعطته نبتة إن أكل منها سحق الحيّة، وبها يشفى من لسعة الحية القاتلة، فليفرحِ الكهنة بالمباركة التي انحنت ووضعت الكاهن العظيم الذي صارَ ذبيحة وعفاهم من سائر الذبائح وهو بإرادته صار ذبيحة وأرضى أباه»[1] فآدم يرمز إلى المسيح وحواء إلى مريم والمسيح هو آدم الجديد في إعطاء الحياة الفائقة الطبيعية، وصورة آدم وحوّاء المستقلّين عن الله بالثورة والابتعاد عنه، قد محتها وبدّلتها صورة المسيح والعذراء المرتبطين بالله، فالمسيح تخلّى عن ذاته والتصقت حياته وإرادته بحياة الله وإرادته، فانتصر على الخطيئة وجاز الموت، وبموته وقيامه أقام معه البشرية كلّها[2].

وتوجد في الأدبيات الدرزيّة المخطوطة إشارات حول «آدم أبو البشر وخطيئته» و«حوّاء» أم البشر والخلاص حسب المفهوم الدرزي ذي الأصل والمنشأ الباطني، وكذلك نجد في هذه الأدبيات القراءة التأويلية والتفسيرية لأصل تسمية «هجر» وهي موطن وديار القرامطة ببلاد البحرين التاريخيّة منذ أواخر القرن الثالث هجري حتّى سنة 470هـ/ 1078م وكذلك تفسيرًا آخر لأصل كلمة القرامطة. حيث نجد أنه «. . . لما كملت حدود آدم وبثّ دعاته وكثر المؤمنون وتظاهر حارث بن ترماح بضديته

(1) إثناسيو (الأب د. متري هاجي)، **الموسوعة المريمية**، دمشق، 1982م، ص144 ـ 145.

(2) إثناسيو (الأب. د. متري هاجي)، **الموسوعة المريمية**، ص35.

وصار البلد حزبين موحّدين ومشتركين أمرهم شطنيل[1] بالتبرّي منهم أي من إبليس وحزبه الجنّ فإذا التقى رجل من الموحّدين بأخيه يقول له اهجر إبليس فيقول: قد هجرته. فبذلك تسمّى مدينة صرنة هجر أي أهلها هجروا إبليس وصحبه وكان أهل الأحساء يسافرن إليها... وأخذ (آدم) العهد على خلق كثير... والإقرار بشطنيل وإمامته... وقال لهم إذا دخلتم هجر فاعبسوا وجوهكم وقرمطوا آنافكم على أهلها ولا تخاطبوا أهلها بشيء من العلم إلا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم... وفعلوا ما أمرهم به من العبسة والقرمطة فلقّبوهم بالقرامطة..»[2] وهذه الأسطورة التي دوّنتها المخطوطات الدرزيّة عن آدم شطنيل وعلاقته بإبليس «حارث بن ترماح» وما تمّ نسجه عن قصّة الخلق وأصول ومعاني تلك الأسماء الشائعة عن هجر والقرامطة وعن أمّ البشر حوى التي احتوت على جميع المؤمنين هي امتداد لمعتقدات الخلاص وتقوّي الإنسان من أخطار الشياطين وهذا الفهم لتلك المجموعات بآرائها الخارجة عن الفرقة الأمّ يعدّ فهمًا خاصًا وذاتية للخلاص والخلق البشري... وهذا ما يؤكد لنا تعددية المشارب الفكرية للخلاص وذلك الانتشار الكبير للفكر

(1) شطنيل هو اسم دعوي أطلقته الباطنية الدرزية على آدم بمعنى سيّد الحدود وإمامهم، وقيل أبو البشر لأن البشر هاهنا هم الموحدّون لأنهّم بشرّوا بآدم... فصار أبوهم في الدين وكذلك زوجته حوى وهي حجّته، لقبت بحوى لأنها احتوت على جميع المؤمنين أم البشر، راجع مؤلف مجهول «**نسخة السجل**»، (رسائل الدروز)، VAT. ARABO, N° : 909، الورقة 90 آ ـ الورقة 90 ب..

(2) مؤلف مجهول «**نسخة السجل**»، الورقة 90 ب، 91 آ، 91 ب.

المهدوي والمسيحي عند أتباع وأصحاب الديانات ذات الكتب السماوية، نقرأ في العهد الجديد (الإنجيل): «من آمن بي إن مات فسيحيا، وكل من كان حيًّا وآمن فلن يموت إلى الأبد»[1]...

كذلك نجد: «الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب الجميع إليّ»[2].

وفي رسائل بولس الرسول نقرأ: «حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الرّبّ، هكذا نسلك نحن أيضًا في جدّة الحياة. لأنه إن كان قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته عالمين أنّ إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطيئة لأنّ الذي مات قد تبرّأ من الخطيئة فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه»[3]. وهكذا تم التحوّل من الشريعة الموسوية بتشددها الصارم بغية اتقاء غضب «الإله الأب» إلى الإيمان بالإله الابن وبحقيقة تجسّده في المسيح. وهذا الإيمان هو الذي يهب الإنسان الخلاص ويجعله واحدًا مع المسيح الذي مات من أجل الإنسان وقهر الموت لأجل خلاصه. كما تمّ التحوّل من أخلاق العهد القديم، إلى النموذج الخلقي الذي تطرحه سيرة السيد المسيح[4].

---

(1) **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، (إنجيل يوحنا XI: 25 ـ 26).
(2) **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، (إنجيل يوحنا XII: 31 ـ 32).
(3) **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، (رسالة بولس إلى أهل رومية VI: 3 ـ 9).
(4) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص397.

إذن بشّرت تعاليم أنبياء بني إسرائيل بمبعث يسوع المسيح الذي سيخرج من بيت لحم يعيد العدالة والحقّ إلى سائر العالم[1] وقد تعدّدت بشارات الأنبياء عن عودة المسيح المنتظر (عبد الله) ليخلص العالم من المصائب[2] وقبل مزيد الإبحار في موضوع المنقذ عند النصارى لا بدّ لنا من وقفة للتعريف بكلمة المسيح ومعانيها: حيث نجد أن المعنى الحرفي للفظة «المسيح» هو الممسوح بالزيت وقد استعملت هذه الكلمة لأول مرّة في العهد القديم في سفر صموئيل الأول[3] حيث جاء فيه «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبّ على رأسه وقبله، وقال أليس لأن الرّبّ قد رسمك على ميراثه رئيسًا»[4]. إذن تعدّ شخصية المسيح من الشخصيات المهمة في التاريخ الفكري للإنسانية نظرًا لما احتوته من مواقف وأحداث تصل إلى حدّ الأسطورة، حتى ذهب البعض إلى إنكار وجود مثل هذه الشخصية[5] لكثرة الأساطير التي حيكت حولها، وفي الحقيقة فإنّ المسار التطوّري لمعتقدات الخلاص قد نهل من بعضه البعض فسيرة «يسوع» المسيح كما رسمها بولس الرسول وآباء الكنيسة الأوائل خضعت للتطوير والإضافات من قبل هؤلاء، فهذه المعتقدات رغم جدّتها وتفرّدها في كثير من جوانبها قد وضعت في صيغ وأشكال قديمة كانت معروفة في ديانات الأسرار ومعتقدات الخلاص السائدة آنذاك، ولأن التاريخ الروحي

(1) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، (ميخا V: 1 ـ 3).
(2) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، (حجّي II: 32)؛ (زكريا VI: 12).
(3) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص119.
(4) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، (سفر صموئيل الأول X: 1).
(5) ديورنت (وول)، **قصة الحضارة**، م III، ص202 ـ 203.

للبشرية كل متماسك الحلقات فإنّ معتقدات الخلاص السابقة هي التي هيّأت لمشهد انتصار معتقد يسوع المخلص، الذي جاء تتويجًا لها، وخاتمة لذلك المخاض الديني الروحي الطويل. يقول أحد دعاة المسيحية الأوائل: «تعال إليّ لأريك أسرار اللوغوس وأشرحها لك من خلال صور مألوفة ومعروفة عندك»[1].

وتطرح دورة حياة يسوع المخلص في خطوطها العامّة تشابهًا واضحًا مع دورة حياة الآلهة الأبناء المخلصين. ورغم أنّ موت يسوع وبعثه، لا يتّخذ طابعًا دوريًّا سنويًّا كما هو شأن آلهة الخصب، فإن الاحتفال بتجسيده وميلاده وموته ثمّ بعثه عبر السُّنة المسيحية، يجعل من دورة حياته سلسلة من الأحداث الحاضرة أبدًا، المتكررة إلى يوم الدينونة ذلك أنّ الاحتفال بهذه الأحداث ليس إحياء لذكرى وقائع ماضيات، بل هو عيش لوقائع تحدث الآن والساعة. والسيد المسيح في مولده وموته وبعثه، إنما يجمع إلى شخصه خصائص المخلّص الشمسي والمخلّص القمري في آن معًا، فميلاده شمسي أما بعثه فقمريّ[2].

لم يرد في الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة ما يشير إلى تاريخ مولد المخلص يسوع، ولم تحتفل به الكنيسة في مطلع عهدها، ولكن المسيحيين في مصر بدؤوا يحتفلون بعيد الميلاد في يوم 6 يناير/كانون الثاني، وعنهم أخذت الكنائس الشرقية هذا التقليد[3].

(1) Juny. (C. G), **transformation symbolism in the Mass**, in: «the Mysteries», Edited by. J. Campbell, N.Y, 1978, P337.

(2) السواح (فراس)، **لغز عشتار**، ص398.

(3) السواح (فراس)، المرجع السابق، ص398.

حتى إذا حلّ القرن الرابع الميلادي تبنّت الكنيسة الغربية التي لم تحتفل من قبل بعيد الميلاد يوم الخامس والعشرين من ديسمبر/كانون الأول كتاريخ رسمي لميلاد السيد المسيح[1]. وكان لهذا التاريخ في ذلك الوقت دلالات دينية في العالم اليوناني ـ الروماني وفي الشرق الأدنى القديم على حدّ سواء. فيوم الخامس والعشرين من ديسمبر/كانون الأول هو يوم الانقلاب الشتوي حسب التقويم الجولياني، فيه تصل الشمس آخر مدى لها في الميلان عن كبد السماء، ويبلغ النهار أقصره. ولذا فقد اعتبر يوم ميلاد للشمس ولآلهة الشمس لأن اليوم الذي يليه هو يوم صعود الشمس من جديد نحو كبد السماء واستطالة النهار على حساب الليل[2]، فكان أتباع المخلص الشمسي «ميثرا» يحتفلون بميلاد مخلصهم في ذلك التاريخ وكذلك السوريون الذين تحوّل مخلصهم إلى إله شمسي في الفترات المتأخرة وفي المناطق التي تأثّرت بالثقافة الرومانية مثل بعلبك. ففي ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر/كانون الأول، عند منتصف الليل، كانت صرخة الميلاد تنطلق من حجرات قدس الأقداس معلنة ميلاد المخلص: «ها هي العذراء تلد ابنًا والنور ينتشر والعذراء المعنية هنا هي الأم الكبرى عشتارت، سيدة السماوات»[3].

فالإشارات والرموز السريّة القديمة التي تربط الإله المخلص بالشمس وميلاده بميلادها نجدها حاضرة مع شخصية السيد

(1) السواح (فراس)، المرجع السابق، ص398 ـ ص399.

(2) السواح (فراس)، المرجع السابق، ص399.

(3) Frazer. (James), **the Golden Bough**, Macmillan, N.Y, 1971, P 416.

المسيح، فعملية تعميده هي ولادته الثانية، وكل مسيحي يجب أن يولد ثانية بعد التعميد بالماء «الحق، الحق أقول لك إنْ كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله»[1].

أمّا عن حادثة الاعتماد فنقرأ «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلًا: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ سُمح له.

صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت، فرأى روح الله نازلًا له مثل حمامة وآتيًا عليه، وصوت من السماوات قائلًا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»[2]. وفي الحقيقة، فإنّ طقس الاعتماد كان معروفًا في الديانات السريّة، يرجع أصله إلى عبادة إله الماء السومري ـ البابلي «إيا» الذي يعني اسمه إله بيت الماء. وكانت طقوس الاعتماد بالماء في معبده، بيت الماء ذاك. وكان البابليون يرمزون لبرج إنكي السماوي بنفس الحيوان، وهذا البرج ما زال معروفًا إلى يومنا هذا ببرج الجدي، وهو البرج الذي لاحظ البابليون القدماء أن الشمس تدخله وقت الانقلاب الشتوي لتجتازه بعد ذلك صاعدة في دورتها الجديدة نحو منتصف السماء. فإذا علمنا أن الاسم الذي عرف به الإله إنكي في الفترات المتأخرة هو «أوانيس» الذي يلفظ باليونانية «ايوانيس» وباللاتينية «يوحانيس» وبالعبرية «يوحنان»، أدركنا العلاقة بين إله الماء إنكي

(1) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، (إنجيل يوحنا III: 5).
(2) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى III: 13 ـ 17).

ويوحنا المعمدان في الإنجيل[1]. وهذه العلاقة إنّما تربط في الوقت نفسه بين يوحنا المعمدان (النبيّ يحيى) الذي يعمد بالماء، وبرج «إنكي» الذي تمرّ فيه الشمس قبل ولادتها الجديدة في السماء، وتجعل من حادثة اعتماد السيد المسيح انعكاسًا للحدث الفلكي.

فالسيد المسيح بعد اعتماده بماء الأردن على يد يوحنا وولادته الجديدة، يصعد من الماء ويجتازه ليهبط عليه الروح القدس ويكرسه ابنًا للإله وقاهرًا برسالته للظلام، تمامًا كما تلد الشمس في يوم الخامس والعشرين من ديسمبر/كانون الأول مجتازة برج الماء في ميلادها السنوي الجديد[2]. أمّا بعث السيد المسيح القمري، وتسيير حادثة موته وقيامه على خطى موت وبعث الآلهة القمرية القديمة، التي تغيب في اليوم الأول وتظهر في يومها الثالث فهو من تأثيرات القدامى، وكما كان الآلهة القمريون آلهة للخصب ودورة الزراعة في نفس الوقت، يبعثون إلى الحياة مع الانقلاب الربيعي كذلك هو السيد المسيح الذي يبعث في يوم الفصح الربيعي، ففي البلدان الناطقة باللاتينية شاعت عبادة الإله «آتيس» ابن الأم الكبرى «سيبيل»، وجرت العادة على الاحتفال بيوم آلام المسيح وموته في الخامس والعشرين من شهر مارس/آذار المصادف ليوم الانقلاب الربيعي حسب التقويم الجولياني، وبقيامه في يوم الفصح الموافق للسابع والعشرين من

(1) Campbell. (Joseph), **Oriental Mythology**, Penguin books, London, 1977, P107.

(2) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص400.

مارس/آذار. وهذه التواريخ مقاربة لتواريخ احتفالات آتيس، حيث يصادف يوم الثاني والعشرين من شهر مارس (آذار) يوم الاحتفال بموت آتيس والخامس والعشرين منه يوم بعثه. وقد كان هذا التطابق بين المناسبتين مدعاة لجدل طويل بين أتباع الديانتين. فبينما اتّهم أتباع «آتيس» المسيحيين بالتقليد، لجأ المسيحيون إلى اتهام الشيطان الذي يقلب موازين الأمور ويغطّي الحق بالباطل ليزيغ به القلوب[1] أما اليوم فيتمّ الاحتفال بعيد الفصح في الكنائس الشرقية في أول يوم أحد يلي القمر البدر عقب الانقلاب الربيعي مباشرة وبذلك يجمع الفصح إلى نفسه البعثين، بعث القمر وبعث الطبيعة[2].

وكما تحوّل أبناء الأم الكبرى من آلهة قمح يهبون جسدهم لدفع غائلة الجوع عن البشر، إلى آلهة خلاص يهبون نفس الجسد القديم لخلاص الروح، كذلك السيد المسيح، فجسده الذي وهبه من أجل البشر هو قمح الحياة الأبدية: «أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا»[3] كذلك في نص إنجيلي: «أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم»[4] وجسد المسيح أيضًا

(1) Frazer. (James), **the Golden Bough**, op. Cit, PP 405-407.

(2) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص401.

(3) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل يوحنا VI : 35).

(4) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل يوحنا VI : 15).

هو ثمر الأرض الذي صار ثمر الخلاص «أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام»[1]

على أن الإيمان بتجسيد الإله الابن وظهوره على الأرض في هيئة «يسوع الناصري» والإيمان بدورة حياته التي انتهت بالموت على الصليب والقيامة من بين الأموات، واتباع مثاله الخلقي في الحياة، كل ذلك لا يكفي لجعل المؤمن واحدًا مع المسيح ونيل الخلاص.

فهناك عدد من الأسرار التي لا بدّ من المرور بها، وطقوس عبور لازمة لكل راغب في التحوّل للمسيحية. من ذلك سرّ التناول باعتباره السرّ الأساسي المركزي في الطقس المسيحي، فمن بين سلسلة أحداث حياة المسيح التي تتابعت لتحقيق الخلاص، كان العشاء الأخير من أكثرها إثارة لعواطف «المؤمنين»، ووعدًا قائمًا بالخلاص عن طريق التوحّد مع الفادي، نقرأ في إنجيل متى: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر فأعطى التلاميذ وقال: خذوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلًا: «اشربوا منها كلّكم، لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل الكثيرين لمغفرة الخطايا»)[2].

وفي رسائل بولس الرسول نجد: «إنّ الرّبّ يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو

(1) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل يوحنا XV: 1).
(2) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXVI: 26 ـ 28).

جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشّوا قائلًا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم إن أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرّب إلى أن يجيء»[1].

إنّ طقس التناول ليس استعادة لذكرى فداء المسيح، بل هو إعادة إحياء لتلك الطقوس القديمة فالسيد المسيح لم يبذل جسده ودمه في لحظة معينة من التاريخ، بل إنه يبذلهما من أجل البشر في كل مرّة يجتمعون من أجل المناولة إلى فناء الأكوان، والخبز والخمر اللذان يتناولهما المجتمعون، هما خبز وخمر من النوع العادي الذي يألفونه في حياتهم اليومية، إلا أن إيمانهم بسرّ الفداء يعطي لهذه المادة العادية رمزًا كبيرًا ويُحَوّلها إلى فكرة. ذلك أنّ أكل جسد المسيح في شكل خبز القربان المقدس، وشرب دمه في شكل خمرة الكرمة، ليس توحّدًا مع المسيح في الجسد، بل توحّد معه في الجوهر عن طريق الإيمان، وتثبيت للإلهي في الروح البشرية، نقرأ في إنجيل يوحنا: «اثبتوا في وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضًا، إن لم تثبتوا فيّ أنا الكرمة وأنتم الأغصان الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير»[2].

إن اللحظة التي يتناول فيها المجتمعون للقربان المقدّس الخبز والخمر في إيمان كامل بأن ما يأخذونه إليهم هو جسد

---

(1) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (رسالة بولس إلى أهالي كورنثوس XI: 23 ـ 26).

(2) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل يوحنا XV: 4 ـ 5).

الفادي ودمه، لتضعهم خارج الزمان وخارج المكان في ومضة خاطفة وتفتح لهم بوّابة على الأبدية، وتجدّد العهد ما بينهم وبين المخلّص[1].

بعد هذا الإبحار في شخصية المخلص في المسيحية ذات التثاقف المتنوّع مع حضارات الجوار والقدامى. نشير إلى أنّ فكرة المنقذ في الفكر الديني المسيحي قد ارتبطت بشكل كلّي بفكرة المنقذ في الفكر الديني اليهودي، فكما مرّ معنا فإن هذه الفكرة قد اعتمدت اعتمادًا كليًا عند المسيحيين على التراث التوراتي. فعندما تنبأ يسوع بظهور ملك الله ظهورًا ساطعًا نورانيًا ونهائيًا كان متأثرا في ذلك بما ذهب إليه أنبياء بني إسرائيل في تصوّراتهم التي تؤكد تدخل الله في سير التاريخ اليهودي وهذه التصوّرات نجدها قبل مجيء المسيح موجودة في أوصاف الفصح وميثاق سيناء وفي تدخلات الله لتقويض الإمبراطورية المضطهدة والمدن المعادية أمثال آشور وبابل[2]. وعندما أراد المسيح أن يؤكد دور الله في التاريخ حلّ عبارة «يوم ابن الإنسان» محل عبارة «يوم الرّبّ» باعتباره سينوب عن الله في تدخلاته في سير التاريخ اليهودي. ولا يفوتنا أن نذكر أن عبارة «ابن الإنسان» المرادفة للفظة «مسيح» موجودة في التراث اليهودي والمصري والرافدي والهندي وليست من ابتكار المسيحية[3].

ولكن الشيء الذي لا نستطيع أن ننكره أن يسوع المسيح عندما أراد أن يطبق عبارة «ابن الإنسان» جعلها فكرة متصاعدة

(1) السوّاح (فراس)، **لغز عشتار**، ص402 ـ 403.

(2) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص134.

(3) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص134.

وأعطاها بعدًا جماليًّا مثاليًّا فيه كثير من القوّة والمجد وهذا ما بشّرت به التوراة حيث نجد في الفكر الإنقاذي اليهودي عبارة مجيء المسيح على سحب السماء في كثير من القوّة والمجد[1] وهذه العبارة منقولة مباشرة عن سفر النّبيّ دانيال. وكما عرفنا سابقًا وعند كلامنا عن المنقذ في الفكر الديني أن الريح والسحاب والعاصفة والنار هي بعض العلامات التي تصاحب ظهور الله وما هذه العلامات المادية الحسيّة إلا لتنبئ عن الحضور الإلهي فقد تنبأت عنه عندما كان على جبل سيناء لملاقاة موسى[2] وعبر الصحراء أو إرسال ملاكه إلى هيكل سليمان[3] كما أنها ستنبئ عن ظهوره في آخر الأزمنة عندما يتجلّى ساطعًا مُعْلنًا نهاية العالم[4]. ثم تذكر الأناجيل أنّ الناس سيشاهدون ابن الإنسان «آتيًا في كثير من المجد»[5] «إنّ هذا التفصيل المضاف إلى سحب السماء يوضح معنى السحاب: إنه يدلّ على إشراك ابن الإنسان بامتياز خاص بالله وحده»[6].

إنّ هذا المجد ملك خاص بالله غير قابل للتجزئة والاشتراك من قبل أيّ قريب من الله فلم يكن الفكر الديني اليهودي على

(1) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل لوقا XXI: 27)؛ (إنجيل مرقس XIII: 26).
(2) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الخروج XIX 16 ـ 18).
(3) **الكتاب المقدّس، العهد القديم** (سفر الخروج XVI: 4).
(4) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (سفر الخروج III: 1 ـ 5).
(5) **الكتاب المقدس، العهد القديم** (المزمور 1: 97 ـ 7).
(6) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXIV: 30 وXVI: 27)؛ (إنجيل لوقا XXI: 27).

استعداد لأن يرى المسيح مشتركًا في امتياز خاص بابنه وهو مجده، ومجد الله هو عرشه وهو وحده الذي له حق تصدّر الدينونة النّهائية واتّخاذ القرارات الجازمة فيها[1]، أما في المسيحية فلا يوجد تحفّظ وكلّها استعداد لتقبّل هذه الفكرة، «فابن الإنسان» قد حلّ محلّ الله في الدنيوية الأخيرة التي صوّرها متى في إنجيله حيث يعطى «لابن الإنسان» حقّ تنفيذ القضاء بمعزل عن الله[2]، وقد ذكرت الأناجيل أن «ابن الإنسان» سوف يأتي مع ملائكته»[3] وسيكون للملائكة عند مجيئهم مع ابن الإنسان شأن كبير إذ سيجمعون له جميع الأمم ويتولّون تنفيذ الأحكام التي يقرّرها الإنسان[4] وسيأتي «ابن الإنسان» في ساعة غير متوقّعة[5]، وهذه الساعة غير المتوقعة بمثابة إنذار للمؤمنين أنفسهم «وأنتم أيضًا كونوا مستعدين لأن ابن الإنسان يأتي في ساعة لا تظنونها»[6].

وعند عودة المسيح سيتجلى بمجده الإلهي أمام العالم أجمع «وعند مجيئه تتزعزع الخليقة كلها وسيدل مجيئه على انتهاء الزمن

---

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص135.
(2) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXV: 31 ـ 46).
(3) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXV: 16، 25، 27)؛ (إنجيل مرقس VIII: 18)؛ (إنجيل لوقا XI: 26).
(4) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص136.
(5) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXIV: 44)؛ (إنجيل لوقا XII: 40).
(6) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متى XXV: 13)؛ (إنجيل مرقس 13 ـ 35 ـ 37)؛ (إنجيل لوقا XII: 26 ـ 36).

القديم حيث بقي مجد الله محتجبًا عن الأنظار كما يظهر مجيئه بداية الزمن الجديد حيث يملأ بجسده الخليقة كلها ولذلك سميّ هذا اليوم الأخير يوم المسيح أي مجيء الرّبّ وحضوره[1].

إنّ العلامات السابقة والمعلقة لمجيء «ابن الإنسان» مستعارة من الفكر الديني على مدى التطوّر الذي أصابها نتيجة تأثّرها بالديانات السابقة لها، وقد عرّجنا على ذلك وفي خاتمة مطاف الخلاص عند النصارى لا بدّ لنا من وقفة على صلب السيد المسيح وأثره في بلورة فكرة الخلاص، فماذا يعني صلب المسيح؟

لقد كان صلب المسيح كما تؤكد الأناجيل بداية رائعة لإنقاذ البشرية من كل الشرور المحيطة بها حيث جاء في العهد الجديد أنه «أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا»[2].

لقد كان موت يسوع على الصليب قهرًا لسلطان الشيطان وتحطيمًا لقدرته على إغراء البشر فقد «كفّر يسوع عن عصيان آدم ونسله بطاعته حتى الموت وبآلامه المرة وموته خلصنا من الخطيئة الأصلية ومن خطايانا الشخصية ومن الهلاك الأبدي»[3] وفكرة صلب المسيح ليفتدي البشر ليست من مبتدعات الفكر المسيحي فقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابيين،

---

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص136.

(2) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (رسالة بولس الرسول على أهل كولوسي I: 13 ـ 15).

(3) ديورانت (وول)، قصّة الحضارة، مIII، جIII، ص263 ـ ص265.

والفينيقيين، والقرطاجيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبى وقد استبدل الطفل نتيجة التقدم الحضاري بمجرم محكوم عليه بالإعدام وقد كان البابليون يلبسون هذه الضحية أثوابًا ملكية لكي تمثل «ابن الإنسان» ثم تجلد وتشنق[1] ويعتقد المسيحيون أن المسيح لم يمكث عقب صلبه إلا أربعين يومًا ثم ارتفع بعدها إلى السماء وجلس بجوار الأب كما تشير مصادرهم، وتقول الأناجيل إنّ المسيح ظهر مرارًا بعد قيامته. وفي أماكن متعددة فقد ظهر لمريم المجدلية عند القبر ويقولون إنه بعد أربعين يومًا من قيامته اجتمع بالرسل على جبل الزيتون وبينما هو يباركهم أخذته سحابة وصعد إلى السماء، وبينما هم يتأملونه مندهشين إذ بملاك ينزل لهم ويقول يسوع الذي رأيتموه صاعدًا سيأتي أيضًا كما رأيتموه نازلًا من السماء[2] وقد وردت الصفة الإنقاذية لشخصية المسيح في كل الأناجيل ونظرًا لأهمية ما جاء في الأناجيل عن هذه الشخصية نرى من الأفضل التطرّق إلى كل منها بشيء من الاقتضاب، وأول إنجيل تكلم عن الصفة الإنقاذية في شخصية السيّد المسيح هو إنجيل «متى» وقد كتب بشارته لليهود، ونرى فيها كيف أن الشريعة والعهد القديم كملا في شخص المسيح[3]

---

(1) ديورانت (وول)، **قصّة الحضارة**، مIII، جIII، ص264 من الهامش.

(2) ديورانت (وول)، **قصّة الحضارة**، مIII، جIII، ص239 ـ 240.

(3) **الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (إنجيل متّى). مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص138.

ويحاول «متّى» أن يرجع أصل المسيح إلى داود تأكيدًا لمقامه الملوكي ويذكر لنا «أنه ولد بقوّة الروح القدس، وأنه مخلص، وأنه إله متّحد بالإنسان»[1]، ويقول «توبوا لأنه قرب ملكوت السموات»[2] وقد وعد المسيح أتباعه المؤمنين بأن يكون عونًا لهم في جميع المحن «ها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر»[3]، وجاء في هذا الإنجيل أيضًا أنّ الشيطان سيهجم قبل النهاية بقليل على ملكوت الله للمرّة الأخيرة بكلّ ما لديه من قوّة وسلطان ويقوم في ذلك الوقت أنبياء كذبة ويحملون على الشرّ أعدادًا كثيرة من الناس وفي ذلك الوقت يتقدّم «المسيح الدجال» إنسان الخطيئة ويجلس في هيكل الله ويرى في نفسه أنه هو الله[4] وبقوّة الشيطان يحقّق آيات ومعجزات كثيرة فيدخل كثير من الناس في دينه ولكنّ المسيح عند مجيئه يسحقه بقوّته الإلهيّة[5]. كما ذكر «مرقس» أن المسيح جاءت بشارته كخادم متطوّع صرف حياته لخدمة الإنسان على الأرض لإتمام مشيئة الأب الذي أرسله[6]، ويعتبر إنجيل «يوحنا أكثر الأناجيل تأكيدًا لمسألة البعث وظهور المنقذ المخلص فهو يصف لنا المسيح «كصديقنا» الإلهي الذي يدافع عنا ويريدنا أن نكون بجنبه «أيها

(1) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص138.
(2) مهدي (فالح)، المرجع السابق، ص138.
(3) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل متى 28: 2).
(4) مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص138.
(5) مهدي (فالح)، المرجع السابق، ص138 ـ ص139.
(6) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل مرقس III: 1 ـ 10).

الرّبّ أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أجبتني قبل إنشاء العالم»[1]

وفي المجمل إنّ عقائد النصرانية في الخلاص هي ذلك المزيج الفكري وما احتوته ذاكرة الأجداد والجوار وتبلور كل ذلك الفكر المسيحي ليجعل من شخصية المسيح الإنقاذية ذات صفات خارقة للطبيعة، وشدّت «المؤمنين» للخلاص المنشود...

(1) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل يوحنا XVII: 24).

. III .

الفكر المهدوي عند المسلمين:
بين النص الديني والصراعات السياسيّة

لقي انتشار الفكر الإنقاذي عند المجموعات الإسلامية صدى واسعًا، وخاصة عند تلك التي لم تنل حظها أو تعرّضت للتنكيل والاضطهاد وبشكل خاص المجموعات المعارضة وتحديدًا الشيعة حتى غدا الفكر المهدوي جزءًا من نظرية الإمامة وفصلًا من فصولها، ثم أخذت نوعا من الاستقلالية بعد وفاة آباء الأئمة الموعودين، فقد حدثت تطوّرات كثيرة في الحركة الشيعية ربّما كانت أصعب التطورات في تاريخها الطويل. فعلى الصعيد الفكري توّجت المهدوية نظرية الإمامة الشيعية، ومن الأهمية، دراسة الظروف التاريخية التي ظهر فيها هذا التطوّر الجديد وأحاط بتكوينه، والنتائج التي تركها على الحركة الشيعية عامة بعد انتقالها من مرحلة الدعوة إلى الإمام «الظاهر» و«المستعلن» إلى مرحلة الدعوة إلى الإمام «المستخفي» و«المغيّب».

أمّا على الصعيد السياسي فكانت المهدوية أحسن الطروحات التي قدّمتها الفرق الإسلامية آنذاك للإصلاح الديني والاجتماعي.

فوجود الإمام يعني مسؤوليته وجدارته للإدارة السياسية وقيادة المجتمع، فهو معقد الآمال، ووجهة الطموح، أمّا غيبته

فقد جعلت منه ذلك الموعود المنتظر والرجاء الذي تمثّله فكرة مثالية تمكنه من تغيير الواقع فتحوّلت الشرور إلى خير ورفاه وعزّة وسؤدد لأنصاره ومواليه وانتقام من أعدائهم وظالميهم.

وفي الفكر المهدوي الإسلامي عملت المجموعات الإسلامية الشيعية بجميع منبثقاتها على بلورة ملامحه وتركيز أسسه والتنظير «للإمام الموعود» فتداخلت عدّة مفاهيم بين ما هو إسلامي أثبتته النصوص الدينية عند المسلمين وبين ما هو مقتبس من ديانات الأجداد وتأثيرات الجوار.

وقبل الخوض في المواضيع المتعلقة بالمهدوية في الإسلام وكيف قرأتها المنبثقات المذهبية وخاصة الشيعية منها. كان لابدّ لنا من وقفة موجزة في المعاني اللفظية للمهدي.

ويعدّ هذا اللفظ (المهدي) صفة أيّ مخلوق هداه الله إلى الحق، وإن لم يكن نبيًّا ولا خليفة، ويغني عن التوسع في بيان هذا ما فرط ذكره من كلام جمال الدين (ابن منظور) في تعريف اللفظ ذاته، فإن صاحب كتاب اللّسان لم يقرن الهداية بالنبوّة أو الخلافة[1]. غير أنّ اللفظ عينه يستعمل مع ذلك اسمًا خاصًا مرادًا به شخص معيّن أشار إليه ابن منظور بقوله: «وبه سُمّي المهدي الذي بشّر به النبيّ ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان»[2].

---

(1) الحمدي (عبد السلام)، **المهدوية الصوفية**، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس / كلية الآداب منوبة، 2001، بحث شهادة الدراسات المعمقة، (مرقون)، ص9.

(2) ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري)، **لسان العرب**، أعاد بناءه =

والاحتمال الوارد تبعًا لهذا القول أن كلمة «المهدي» لم تتداول اسمًا لشخص إلا بعد ظهور الإسلام ـ حين طفا الإيمان بالشخص المشار إليه في قول صاحب كتاب اللسان وراج المنسوب إلى النبيّ محمد من الأحاديث المبشّرة به، ولئن اختلفت تلك الأحاديث في تحديد هويّة «ذلك المهدي»، وتباينت قليلًا أو كثيرًا ـ في رسم صورته[1] تبعًا لتنوع المجموعات التي روّجتها، فإنّها اتفقت ضمنيًا على الأقل في كونه خليفة ينصف المظلومين في حملة شاملة على الظالمين والجائرين[2].

حتى إنّ البعض ردّ كلمة المهدي إلى أصل غير عربي وذكر بأنها «.. في الواقع تعريب للفظة المسيح الموجودة في التوراة فالمسيح معناه الممسوح أي أنه ذلك البطل المنقذ الذي يمسحه الإله، بمعنى الهداية والإرسال والتأييد الربّاني»[3].

إذن ليس بوسعنا إنكار ما بين الكلمة العبرية «مسيح» والكلمة العربية «مهدي» من اشتراك دلالي وتشابه في أوجه الاستعمال، فكلتاهما تدلّان ـ في سياق محدّد وهو الاستعمال اللغوي الدّيني ـ على من تحقّقت له صلة روحيّة بالله جوهرها

= على الحرف الأول من كلمة يوسف الخياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت/لبنان، 1970، مادة (هدي).

(1) المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، جII، ص174 ـ 184.

(2) المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، جII، ص174 ـ ص184.

(3) الوردي (د. علي حسين)، **وعاظ السلاطين**، بغداد/العراق، 1954م، ص387؛ الشيبي (د. كامل مصطفى)، **الصلة بين التصوّف والتشيع**، دار الأندلس، بيروت /لبنان، (ط III)، 1982م، جI، ص115.

التّسديد الربّاني، وكلّ منهما أطلقت صفة لمتقلّدي الحكم واسمًا لمخلّص موعود ويجوز لذلك احتمال كون اسم خليفة المسلمين المنتظر ترجمة لدلالة الكلمة العبرية الرمزيّة، بل يحقّ القول إنّ هذا الاحتمال هو أقرب الاحتمالات الممكنة إلى اليقين[1]. وقبل الخوض في تفاصيل المهدويّة عامّة والشيعيّة على وجه الخصوص لا بدّ من الإلمام بجوانب المصطلح فعند الغربيين نجد حول عقيدة المخلص المنتظر مصطلح Messianisme/ Messianique اشتقاقًا من اسم «المخلص» «Messie» في اللغات الغربية الحديثة[2].

أمّا الباحثون العرب المعاصرون فقد أطلق بعضهم على العقيدة نفسها مصطلح «المسيحانية»[3] اشتقاقًا من لفظة المسيح أو تعريبًا للمصطلح العربي والظاهر من السياقات التي ورد فيها المصطلح العربي أنّ المراد به نزعة انتظار المخلص مطلقًا أي أنه يشمل كل إيمان بقرب ظهور مخلص، فهو إذن يستوعب عقيدة المسيح المنتظر اليهودية وعقيدة المخلص المسيحية وعقيدة المهدي الإسلامية وما شابه هذه العقائد الثلاث في مختلف الديانات الكتابية[4] إذ أنّ لفظ «المهدي» هو اسم المنقذ والمخلّص المنتظر عند المسلمين.

---

(1) الحمدي (عبد السلام)، **المهدوية الصوفية**، ص10.

(2) **Dictionnaire Encyclopédique**, Larousse, Paris, 1993, pp1004-1005.

(3) الشرفي (د. عبد المجيد)، **الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن IV هـ/العاشر م**، الدار التونسية للنشر، تونس 1986م، ص280.

(4) الشرفي (د. عبد المجيد)، المرجع السابق، ص281.

وللمهدي المسلم علامات ظهور، حسب أدبيات الفرق الإسلامية، فللمهدي أوانه وهنالك إرهاصات تسبق ذلك الظهور من ملاحم وفتن وترافق ظهور «المهدي» المنتظر السفياني، والظاهر أن الصراع الهاشمي الأموي تجاوز ما هو سياسي قديم وأخذ بعدًا عقائديًّا فكان المهدي العلوي من بني هاشم مناهضًا لذلك السفياني من صلب آل أبي سفيان بن حرب الأموي وكأننا بالصراع والتنافر التاريخي القديم بين بني هاشم وبني أميّة يتواصل مع شخصيات المنقذين وإن اختلفت أدوراهم، فالمنقذ المهدي العلوي من آل النبيّ محمد هو من سيملأ الأرض عدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا بينما كان السفياني كما سوف يمرّ معنا هو المجدّد لملك آل أبي سفيان بشكل خاص وهو الذي سيتولّى إعادة إحياء الخلافة الأموية عمومًا بعد سقوطها تحت الضربات العباسية سنة 132هـ/ 750م.

إذن تمثّل قصة المهدي المناهض للسفياني امتدادًا لتلك الحوادث التي عرفها صدر الإسلام وفي فترة تأسيس الدولة الأموية والتي انتهت بانتصار سياسي للأمويين على علي بن أبي طالب بعد اغتياله وتحوّل معاوية بن أبي سفيان من والٍ غير شرعيّ ومتمرّد على الخليفة إلى حاكم وخليفة للمسلمين حتى أنّ البعض اعتبر انتصار يزيد ين معاوية على الحسين بن علي تكملة لانتصار معاوية على علي بن أبي طالب[1] وهذا ما سوف نعرّج عليه في موضوع الفكر المهدوي عند المسلمين.

---

(1) عاقل (د. نبيه)، **دراسات في تاريخ العصر الأموي**، مطبعة جامعة دمشق، 1411هـ/ 1990م، ص57.

أ ـ المهدي الهاشمي المناهض للسفياني[1]:

منذ وفاة الرسول محمّد بن عبد الله ﷺ بدأت عوامل الفرقة والخلاف والشقاق تدبّ داخل جماعته، فكان اجتماع سقيفة بني ساعدة وما آلت إليه الأمور، حيث تمّ تعيين أبي بكر الصديق خليفة للرسول[2] وهذا الحدث أسهم في تسليط الضوء على شخصية أخرى: الإمام علي، إذ كانت له مكانة خاصة تفسّر بقرابته من الرسول، فهو ابن عمّه وصهره وأب حفيديه الحسن والحسين[3] وتفسير ذلك بما هو راسخ في الوجدان الاجتماعي من تبجيله والاعتقاد في أنه يمثِّل الرجل القائد والإمام العادل وهذا ما يشرّع له طموحًا سياسيًّا. وقد نتج عن اجتماع السقيفة بروز تيارين الأول تمثّله السلطة بالشرعية التي اكتسبتها «... مع تحول الخلافة إلى واقع» والثاني «تمثّله المعارضة التي اجتمعت على بيعة السقيفة وتكتّلت حول علي حيث كان برأيها الشخصيّة المؤهّلة لاستلام الحكم»[4] بعد وفاة الرسول فما كان من أبي

---

(1) الهاشمي من بني هاشم الجد الأول لبني عبد المطلب (أو بني هاشم) آل الرسول، أما السفياني فنسبة للفرع السفياني من بني أمية الذين حكموا ما بين 40هـ إلى 66هـ ثم تلاهم أبناء عمهم من الفرع المرواني.

(2) ابن هشام، **السيرة**، م II، ص658 ـ 661، للوقوف على الأخبار وتفاصيل السقيفة راجع: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير توفي 310هـ)، **أخبار الرسل (الأمم) والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة/ مصر دار المعارف، 1960 ـ 1969، ج III، ص204 - 205، 218 ـ 223.

(3) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج V، ص153.

(4) فان فلوتن (ج)، المرجع السابق، ص157.

سفيان ذلك التاجر القرشي الكبير وأحد أهمّ وجهاء مكة والحديث العهد بالإسلام ـ وهو من ضمن المجموعة التي عُرفت باسم الطلقاء ـ[1] إلا أن اقترب من علي بن أبي طالب قائلًا: «أغلبك على هذا الأمر أقل بيت في قريش أما والله لأملأنها خيلًا ورجالًا إن شئت...» فقال علي: «ما زلت عدوًا للإسلام وأهله فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئًا إنّا رأينا أبا بكر لها أهلًا»[2] وبذلك ندرك مغزى مقولة عمر بن الخطاب: «كانت بيعة أبي بكر فلتة غير أن الله وقى شرّها المسلمين»[3].

كانت حادثة السقيفة ذات نتائج مهمة، فالاتفاق فيها على مبايعة أبي بكر وإقصاء علي من الخلافة كان من أهمّ أسباب شقّ الصفّ المسلم[4] وعمل الزمان على اتساع هذه الشقّة خاصّة بعد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (23هـ/ 644م) ووصول الخليفة عثمان بن عفان إلى سدّة الخلافة وهو معروف بلينه وضعف شخصيّته أمام أبناء عمومته فدخل عليه أبو سفيان، حين صار له هذا الأمر قائلًا «قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة

(1) ابن هشام، **السيرة**، م II، ص412.

(2) المقريزي، **كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تحقيق القاضي محمود عرنوس، نشر وطبع إبراهيم يوسف، مكتبة الأهرام، القاهرة/ مصر، (د.ت)، ص30.

(3) ابن هشام، **السيرة**، م IV، ص226.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج III، ص226. جعيط (د. هشام)، **الفتنة**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت/لبنان، 1996.

ولا نار فصاح به عثمان قم عني»[1]. ولكن ممّا يؤخذ على هذا الخليفة الثالث تعيينه لذوي قرابته من آل أبي معيط، مع ذلك كانت نصيحة أبي سفيان آخر ما سمع عثمان فكانت معظم المراتب الحسّاسة في الإدارة والجيش بيد أقاربه[2] الذين لا يتمتّعون بالحنكة والخبرة الجيّدة بالإضافة إلى عدم وجود قيادات منهم من ذوي السابقة في الإسلام، ونتيجة للإجراءات السابقة كثرت مشاكل الأمصار بعد ما شحّت غنائم الفتح ثم تزايدت هجرة القبائل الأعرابية خاصّة بعد معركة الجسر 13هـ/ 634 م.

أثارت سياسة الخليفة عثمان تذمّر فئات واسعة من الصحابة فنأوا بأنفسهم عمّا لاحظوه من انحراف واعتزلوا مرابطين في المركز، فالقادة الحقيقيون هم أولئك الذين شعروا بأنهم قيادات طبيعية للأمة فهم فوق الأشراف بل إن مفهوم الشرف نفسه قد تشكّل في ذهنية المسلم في عهد عمر بن الخطاب «الشريف هو من ينال شرف العطاء»[3]. فنجد هؤلاء الكبار من الصحابة ينغمسون مع الطلقاء من بني وآل أبي معيط في نهب ثروات الأمة ويشكّلون معهم أرستقراطيّات قبليّة وعاد الصراع القديم بين أعرق بيتين في قريش (بني هاشم وبني عبد شمس) أو بالأحرى نفض عثمان الغبار بسياسته تلك القائمة على محاباة أهله عن الضغائن القديمة بين هاتين الأسرتين.

واعتبر مثل أولئك المرتدين الشيخين (أبا بكر وعمر) نموذج

(1) المقريزي، المصدر السابق، ص31.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج IV، ص271. جعيط، **الفتنة**، ص65.

(3) جعيط، المرجع السابق، ص70.

الخليفة الصالح فحوّلوهما إلى القدوة عند عامة المسلمين وخاصتهم. لكن ونتيجة لكل هذه التجاوزات اشتدت النقمة عليه وطُلب منه أن يعتزل الأمر ويحتكم إلى الشورى وهي المقياس الذي أمر به الله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1] فاعتبر الخلافة «قميصًا ألبسه الله إياه»[2] بينما كان صاحبه أبو بكر يقول «أطيعوني ما أطعت الله فيكم». وعثمان يعبّر بذلك عن استخلاف الله له في الأرض وحقّه الإلهي في الحكم فقد اعتبر نفسه خليفة الله لا خليفة رسول الله[3] فكان يوم الدار يومًا تاريخيًا فقتل الخليفة الثالث واستبيحت المدينة دار الهجرة ومرقد الرسول لقبائل الأعراب ينتهكون حرماتها ويدوسون هيبتها، لقد كان موت عثمان مأساويًا فلم يجد عونًا وهو محاصر من أولئك الذين فرضهم الخليفة نفسه على رقاب المسلمين وداس على كل القيم والمبادئ التي تلقّاها من الرسول وهو الملقّب بذي النورين لأجل تبرير غطرسة أبناء عمومته والدفاع عن تجاوزاتهم غير المنتهية وهناك أخبار عن إرسال وحدات عسكرية من جندي الشام والبصرة[4] أثناء مدة الحصار، ولكنّها تأخّرت وربما يعود هذا التأخير إلى حسابات معاوية السياسية.

وقد استفظع مؤرخ مسلم هذا الحدث الجلل الذي استبيحت

---

(1) سورة الشورى، الآية: 38.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج IV، ص376.

(3) البلاذري، **انساب الأشراف**، طبعة القدس، ج V، ص82. الطبري، المصدر السابق، ج IV، ص394.

(4) الطبري، المصدر السابق، جV، ص385. جعيط، المرجع السابق، ص117.

فيه مدينة رسول الله حيث يختلف (مقرّ الحكم) الخليفة ورمز الأمة ويقتل، فاعتبره كبيرة تمّت بإيعاز من اليهودي عبد الله بن سبأ (أو ابن اليهودية) وعرف أيضًا بابن السوداء وهو على حدِّ قول الطبري «كان يهوديًّا من أهل صنعاء أمه سوداء أسلم زمن عثمان ثم تنقّل إلى بلدان المسلمين»[1] من رؤوس الفتنة والشغب والبدعة، تنقل في الأمصار داعيًا فيها للثورة كما عدّ من رؤوس الدعوة التي أسّست مذهب المغالاة في الإمام علي بن أبي طالب والمبالغة في حبه مبالغة انتهت إلى تأليهه[2] بل إنه نادى برجعته وهو المنتظر للمهدوية الشيعية في شخص علي حيث كان يزعم «أن علي لم يمت» وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جورًا، وذكروا عنه أنه قال لعلي ﷺ: «أنت أنت أنت!»[3] وبالإضافة إلى هذا فابن سبأ قد دخل المجموعة

---

(1) **التاريخ**، جIV، ص340؛ وعن عبد الله بن سبأ وحياته وأعماله، انظر النوبختي (أبو محمد الحسن بن موسى)، **فرق الشيعة**، تعليق وتحقيق العلّامة السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف/العراق، 1379هـ/1959م، ص20. عاقل وخماش (نجدة)، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى**، مطبعة دار الكتاب دمشق/سورية، 1991، ص185.

(2) الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الحداثة، بيروت/لبنان، (دت)، ج I، ص85. جواد علي، «عبد الله بن سبأ»، **مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد (م.م.ع.ع)**، م VI، 1378هـ/1959م، ص66.

(3) ابن الأثير (عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت/لبنان، 1965، ج III، ص77.

الإسلامية بإرثه الحضاري فهو يمني من صنعاء ويهودي وكلا الاسمين لهما وقع خاص على أذن المؤرخ واتّهم بنو أميّة ابن عمهم علي بن أبي طالب بأنه وراء مقتل عثمان وأنه يحمي قتلته[1]، والواقع أنه لا توجد أدلة على أن معاوية أو حتى كبار الأمويين على ولاء تام لعثمان ولكن أغلبهم قد ركبوا الأحداث لمطامح شخصية. فهذا الوليد بن عقبة وهو من طلقاء يوم الفتح والمتهم بالفسق حسب النص القرآني[2] يؤجّج الصراع العشائري الهاشمي الأموي ناسيًا أو متناسيًا الروابط الجديدة التي أرساها الإسلام في بناء مجتمع موحد بدون نعرات الجاهلية، فالظاهر أن فقدان الملك قد ساهم في ذلك وكما قال أبو سفيان: «إنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار»[3]، فالجاه والعز والسلطان والاستغلال والنفوذ قد ذهب مع مقتل شيخهم في يوم الدار واليوم عليهم المطالبة بثأره، خاصة وأنهم لم يقوموا بإنقاذه.

وتجاوزاتهم غير المبالية التي نسبها جمهور الصحابة لعثمان واعتبرت من المنكرات عليه[4] قد تكون هي التي عجّلت بمقتله لكن ما يُلاحظ هو أن الوليد بن عقبة يتّهم علي بن أبي طالب أنه وراء مقتل عثمان:

---

(1) الطبري، المصدر السابق، جIV، ص564 وما بعدها.

(2) سورة الحجرات (49): الآية: 6.

(3) المقريزي، المصدر السابق، ص31.

(4) ابن قتيبة الدينوري، **الإمامة والسياسية**، (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي قم/إيران، 1413هـ، ج I، ص50 ـ 52.

«بني هاشم إن ما كان بيننا
كصدع الصفا ما يومض الدهر شاغبه
بني هاشم كيف الترحم بيننا
وسيف بن أروى عندكم وحرائبه»[1]

فأجابه الفضل بن العباس متّهمًا إيّاه بالفسوق وبأنه مارق عن الإسلام:

«سلوا أهل مصر سلاح أخيكم
فعندكم أسلابه وحرائبه
وكان ولي الأمر بعد محمد
عليّ وفي كل المواطن صاحبه
وقد أنزل الرحمٰن أنك فاسق
فمالك في الإسلام سهمًا تطالبه»[2]

وهذا معاوية يمضي في عناده رافضًا الاعتراف بعلي أميرًا للمؤمنين ومنكرًا عليه شرعيّة الخلافة ويفسّر موقف معاوية بمطامح شخصية، وأهداف ليست خفية على أحد آنذاك، وكان علي «يقنت على معاوية إلى أن مات ومعاوية يلعن عليًّا وولده»[3].

وكانت همدان وقسم من عشائر اليمن ويمني العراق في صف علي حيث كانوا سندًا رئيسيًّا له في جميع معاركه الكبرى كالجمل وصفين، ويعود هذا التقارب بين علي وأهل اليمن لعلاقة خؤولة ولهذا استجاب أهل اليمن لدعوة علي إلى الإسلام عندما

(1) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص207 ـ 208.
(2) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص208.
(3) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص234.

ذهب إليهم من قبل الرسول ولم يستجيبوا لخالد بن الوليد رغم طول إقامته بينهم[1].

وقد كان اليمنيون ينتظرون منقذًا لهم يخلّصهم من هيمنة الفرس ومن ثم يعيد إليهم أمجادهم الذهبية التليدة، لذلك نجد أنّ أهل اليمن بإرثهم الثقافي القديم بشّروا بوجود مهدي يكون مسلمًا تكون لهم صلة قرابة به فكان علي هو المنتظر فلذلك غالوا فيه قبل غيرهم لإضفاء صفة الشرعية على كل ما يقومون به لمواجهة الشرعية التي عمل معاوية على أخذها بصفته وريث عثمان بن عفان وصاحب الحق الأول في المطالبة بدمه ووصي عثمان في هذا الأمر[2] وقد استطاع معاوية أن يوطّد أركان دولته وينفذ أهم أهدافه السياسية والعسكرية[3] بتحالفه مع يمنيّي الشام واستطاع معاوية أن يبلغ كل آماله وطموحاته وكان موالوه سندًا لابنه يزيد ولي العهد وحتى لابنه خالد الذي اعتزل الحياة السياسية بعد وفاة الخليفة مروان بن الحكم والبيعة لابنه عبد الملك وهناك بدأ خالد يبشّر بمهدي بني أمية السفياني المنتظر.

---

(1) ابن هشام، **السيرة**، المجلد الرابع، ص272 ـ 273. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، دار و مكتبة الهلال، بيروت/لبنان، 1993م، ص254 ـ 255. محمود (إبراهيم)، **أئمة وسحرة**، دار رياض الريس للنشر، بيروت ولندن، 1996، ص210 ـ 211؛ DAGHFOUS (R), **Le Yaman islamique**, Université Tunis I, 1995, T. I, P 205-206.

(2) ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ج I، ص49 ـ 50.

(3) المنقري (نصر بن مزاحم)، **وقعة صفين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم/إيران، 1382هـ، ص207. عاقل (د. نبيه) **دراسات في تاريخ العصر الأموي**، مطبعة جامعة دمشق طبعة 1992م، ص32.

وهنا نقف على الدور اليمني الداعم لكل طرف، ففرق الغلاة في علي وبنيه كانوا من اليمن فقد زعموا أن عليًّا لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جورًا[1] والظاهر أن الأمويين وتحديدًا الفرع السفياني وبسبب الصراع القديم والمتوارث بين أبناء العمومة قد وضعوا أسطورة السفياني تحدّيًا للشّيعة الموالين لعلي وبنيه الذين قالوا بوجود مهديّ منهم ولكن المهدي الأموي هو السفياني وقصّته لا تخلو من الطرائف فحديث السفياني المنتظر وضعه خالد بن يزيد الذي خابت كل آماله في الخلافة فوضع هذا الحديث عن السفياني لما سمع بحديث المهدي[2]. وهذا ما سوف يكون عنصرًا مساعدًا لنا في عملية إلمامنا ببحث الفكر المهدوي عند المسلمين عامّة والشيعة على وجه الخصوص وكذلك التطرّق لدراسة شخصيات هؤلاء المهديين من ذريّة فاطمة الزهراء بنت النبيّ محمد وعلي بن أبي طالب فللاثني عشرية مهديّها كما سوف يمرّ معنا.

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج III، ص77. محمود (إبراهيم)، المرجع السابق، ص201.

(2) الأصفهاني، **الأغاني**، ج XVI، ص88. ابن تغري بردي الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1383هـ/ 1963م، ج I، ص221. محمد حسن (سعد)، **المهدية في الإسلام** (منذ أقدم العصور إلى اليوم، دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي)، دار الكتاب العربي، القاهرة/ مصر، 1373هـ/ 1953 م، ص178.

وللإسماعيلية الفاطمية مهديّها وقائمها وإصلاحها الديني لإبراز مهدوية دولتها، كما أن للقرامطة والمجموعات الإسماعيلية المنشقة عن دار الإمامة الإسماعيلية بسلمية مهديّها المنتظر والمتمثّل في حفيد الإمام جعفر الصادق «محمد بن إسماعيل» وهذا سوف يقودنا البحث إليه سواء في هذا الموضوع أو في صُلب وأعماق دراستنا عن القرامطة لمعرفة تلك الانشقاقات التي عصفت بالمجموعات الدعوية الإسماعيلية وما أنتجته من تيارات معارضة كان أبرزها الخط الإسماعيلي القرمطي الذي حمل توجّهاته الخاصّة وأفكاره حول «القائم المنتظر القرمطي»، وقد سبّب هذا الموضوع حراكًا فكريًا بين أعلام المدارس الإسلامية وخاصة تلك التي أحدثتها غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية وما انجرّت عنه من تطوّرات طالت أكثر من طرف وكانت سببًا في تحوّل مجموعات من أتباع هذه الشيعة إلى المذهب الإسماعيلي[1]، والشيء نفسه قد حدث وإن كان الأمر يختلف عن الحالة الإمامية. ونعني تلك «السقطة» المذهبيّة التي حدثت مع القرامطة في قصّة «المهدي المزيّف» والذي سوف نفرد له موضوعًا بشكل خاص عند تناولنا لدولة المهدي القرمطي في بلاد البحرين باعتباره يحمل مشروعًا مختلفًا عن المشروع المهدوي الإسماعيلي الذي توّج بتأسيس الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب على يد المهدي الفاطمي، بينما كانت دولة آل الجنابي بالبحرين مهيّأة بمؤسّساتها لظهور المهدي القرمطي.

(1) القصير (سيف الدين)، **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع، دمشق، 1994، ص35.

إذن تعدّدت الرؤى والنظريات حول المهدي المنتظر الحامل لدماء نبوية فجعلت من تلك المنبثقات الحاملة والمتبنية لقضايا ومظالم آل البيت النبوي تعتبر أن هذا الإمام الموعود منها وأنها هي الأولى به وهي الناصرة له وأن أتباعها هم جنوده المخلصون فهيّأت جمهورها وعبّأته لزمن الظهور ولصاحب ذلك العصر والزمان «الإمام المخلص» من ذريّة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبيّ محمد ووجّهت أدبياتها وجهة إنقاذية وتنافست مؤسساتها الدعوية والدعائية للتبشير به وبزمانه وبقرب الخلاص وردّ المظالم وللانتصار لآل محمد وحملت الصورة المرسومة في مخيال «المؤمنين» به كل تلك المطامح والآمال التي علّقوها لصاحب العصر لجعلها حقيقة ملموسة لذلك تعدّد أصحاب الدعوات المهدوية في الإسلام فكان أبرزهم:

ب ـ المهدي من آل محمد ـ (من ذرية فاطمة وعلي) ـ الحامل للدماء النبوية:

في خضم هذا الصراع الديني المتضمن لخلفيات ومطامح سياسية نجد أنصار علي وبنيه وهم من أطلق عليهم الشيعة من أجناس مختلفة وأغلبهم من الفرس والقبائل العربية المهاجرة إلى العراق وتحديدًا مِصري الكوفة والبصرة ولهذه الفرقة اعتقادات ببعث إمام منتظر من عترة آل النبوة، وقد استندوا في ذلك إلى القول الذي يُنسب إلى الرسول محمد «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[1]. وهذا المهدي

(1) التبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي)، **مشكاة المصابيح**، تحقيق محمد ناصر الألباني، طبعة الدهلي، ج III، ص24.

الذي تنسبه بعض الفرق الشيعية إليها له كل ما لإمام الظاهر من خصائص روحية، وهو مؤيد بالعناية الإلهية، ولظهوره بعد اختفاء طابع حتمي، فرجعته ليست مرتبطة بالانتصار للمظلومين والمعذبين في الأرض فقط بل كذلك ليحقِّق بشارة النبي وهي أن يتمّ لآل البيت النبوي النصر على أعدائهم الذين أذاقوهم صنوف الخسف والظلم والهوان. وأوّل فرقة تحدثت عن المنقذ المنتظر هي «السبئية»[1] بزعامة عبد الله بن سبأ، وقد ادّعت هذه الفرقة أن جزءًا إلهيًّا حلّ في علي وفي خلفائه من بعده[2]. وكل القصص التي حيكت والأساطير التي برع المغالون في صياغتها أدّت إلى ميلاد فرق مغالية أخرى لها تقريبًا نفس الآراء والأفكار والغرض من كل ذلك تأجيج الصراع مع بني أمية ونصرة صف علي بإحاطة حربه مع أعدائه الأمويين بهالة أسطورية تبقي أتباعه في حالة جهادية حماسية مستمرّة، ولا شكّ أن شخصية علي كانت ذات منزلة خاصة في الإسلام وعند المسلمين، لذلك برز لدى أنصاره كمتمتع بشرعية دينية أقوى من تلك التي يمثِّلها الأمويون بمن فيهم عثمان بن عفان وهذا ما ساعد في جانب من الجوانب على تغذية فكرة الاعتقاد بالمنقذ الذي يكون من سلالة علي، لكن في الحقيقة ليست شخصية علي هي التي خلقت جناح المغالين حول

---

(1) ذكر البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص233 ـ ص236، «أن السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وهو من الغلاة في علي بن أبي طالب، وزعم أنه كان نبيًا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله»؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص174.

(2) البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص255. الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص174. فان فلوتن، المرجع السابق، ص79 ـ 80.

شخصه وإنّما طبيعة الصراع بين البيت الأموي الذي يمثّل الأرستقراطية القرشية وبين فقراء المسلمين الذين جعلوا من علي زعيمًا لهم[1] خاصة أنهم لم ينالوا من عطايا عثمان شيئًا[2] وأن الخليفة عثمان نفسه قد أقصى كبار الصحابة من دائرة الشؤون العامة وهم من أهل الحلّ والعقد وأخذوا من نهج الرسول محمد واكتفى بالاعتماد على مشورة ابن عمه مروان بن الحكم الذي أسرف في استغلال طيبة عثمان وضعف شخصيته حتى اعتبره الخليفة الثالث حاميه وناصحه من صحابته القدامى[3]. ومن نتائج هذا الصراع استئثار الأمويين بمركز السيادة في العالم الإسلامي من ناحية، ومن ناحية مقابلة رسوخ فكرة زعامة علي في ذهنية الشيعة وقد تطوّر الاعتقاد بها فحوّلوها من مجرد طموح سياسي إلى حق إلهي[4]، وهذا الادعاء ما هو في الحقيقة إلا لجمع شمل

(1) الصادقي (د. محمد)، **علي والحاكمون**، دراسة تحليلية، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت/لبنان، 1969، ص168 ـ 170. المهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص197.

(2) طفق بعهد عثمان إلى أقاربه بالمناصب الكبرى ويخصهم بامتيازات أخرى اعترض عليها الناس عامة، **البدء والتاريخ**، ج V، ص199 ـ 206. ابن الأثير، **الكامل**، ج III، ص46. فياض (نبيل)، **يوم انحدر الجمل من السقيفة**، ليماسول، بيروت، 1994، ص115.

(3) فياض (نبيل)، المرجع نفسه، ص117.

(4) دونلدسن (د. دوايت م.)، **عقيدة الشيعة**، تعريب (ع.م)، طبع مطبعة السعادة، القاهرة، 1946، ص58 الغريفي (عبد الله)، **أحاديث وكلمات حول الإمام المنتظر**، مكتبة الهداية الإسلامية، دبي، 1988، ص52 ـ 54.

الشيعة الذين خذلوا علي وبنيه[1] وتصبيرهم على الانتصار تحت قناديل الأمل بمجيء المنقذ والمخلص الذي يملأ الأرض عدلًا. وفي الحقيقة ليست الشيعة وفرقها هي الوحيدة التي تؤمن بذلك، فحتى علماء السنة وجمع كبير من أصحاب كتب الحديث يذكرون أحاديث تؤكد رجعة الإمام المنتظر والمصادر السُّنية التي تناولت موضوع المهدي من آل محمد وأكّدت على رجعته هي:

- عقد الدرر في أخبار المنتظر، لأحد علماء القرن السابع للهجرة ليحيى بن يوسف.
- البيان في أخبار صاحب الزمان، للحافظ الكنجي الشافعي من علماء القرن السابع للهجرة.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، لابن الصباغ المالكي.
- تذكرة خواص الأمة، لسبط ابن الجوزي الحنفي.
- الفتوحات المكية، للشيخ محيي الدين بن العربي.
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، للشيخ محمد الصبان.
- ينابيع المودة، للشيخ سليمان البلخي.

(1) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي)، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1993/ 1413، ج II، ص122. المسعودي، (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت/لبنان، 1989م/ 1408هـ، مII، ، ج III، ص13 ـ 14.

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي.
- اليواقيت والجواهر، للشيخ البلخي الحنفي.
- فصل الخطاب، للحافظ محمد بن محمد البخاري.
- تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم، لابن الخشاب[1].

وللمتصوفة اعتقادات راسخة في وجود المهدي من آل محمد وفي أنّ رجعته وظهوره حقّ إلهي ولهم طلاسمهم العدديّة يعرفون بها متى وأين وكيف يظهر؟[2]. فعديد الآراء والمقالات من مشارب مذهبية مختلفة تتماثل في الاتجاه مع السبئية وينبغي أن تظهر التحفّظ لوجود شخصية عبد الله بن سبأ مؤسّس هذه الفرقة[3] فقد أصبح يُطلق لقب السبئي على كل معارض للخليفة عثمان ولولاته الأمويين[4]. ويحتاج الحديث عن ابن سبأ هذا إلى

---

(1) الغريفي (عبد الله)، المرجع السابق، ص72 ـ 73. الفتلاوي (مهدي)، **مبادئ الثقافة المهدوية**، دار الكرام، بيروت/لبنان، 1995، ص82. راجع الحمدي (عبدالسلام)، **المهدوية عند الصوفية**، (مرجع سابق).

(2) ابن عربي (محيي الدين)، **كتاب عنقا مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب**، مطبعة محمد علي صبيح بالأزهر، مصر، 1954، ص76 ـ 77.

(3) جواد (علي)، «**عبد الله بن سبأ**»، ص66 ـ 96. العسكري (السيد مرتضى)، **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى**، طبعة إيران، 1992، المجلّد II، ص33 ـ 41. محمود (إبراهيم)، المرجع السابق، ص166.

(4) البلاذري، **أنساب الأشراف**، القسم الخامس (مجلد)، تحقيق غويتاين س.، القدس، 1936، ص84؛ الطبري، المصدر السابق، ج V، ص137؛ جواد (علي)، «**عبد الله بن سبأ**»، ص89.

إيضاح ليساعدنا على التقدم في بحثنا. فقد ارتبط ذكر هذا الشخص في التاريخ بضوضاء كبيرة فتعدّدت عبر الروايات أسماؤه وألقابه وغمض علينا تحديد هويته.

فأغلب الروايات التي وصلتنا تنسب ابن سبأ إلى اليمن، أي تعطينا معلومة جغرافية، ولكنّ تطوّر مدلول «السبيئة» من الدلالة على الانتساب إلى قبائل عربية جنوبية إلى الدلالة على الانتساب إلى فرقة مذهبية تعتقد بأن عليًّا وصيّ النبي وتفسّر ضخامة الدور الذي أوكل لابن سبأ في نشأة فكرة المهدي بنزوع فكري إلى اصطناع شخصية نحمّلها تبعات مشاكلنا و«نتخذها آخر» يكيد لنا ويتآمر على وجودنا، أما الاسم فهو «عبد الله بن سبأ» عربي من شبه الجزيرة العربية من صنعاء، ومع ذلك فهو مجهول النسب خاصة وأن الأعمال والأقوال التي تُنسب إليه تجعل النسَّابة والمؤرخين على اطلاع كاف حول تسلسل آبائه وأجداده ولا نجد عربيًّا في فترة صدر الإسلام وإلى العصر الأموي يعرف اسمه واسم أبيه ومحل نشاطه في حين نجد العرب قد غالوا في حفظ أنسابهم بل «إنهم عنوا بحفظ أنساب خيولهم»[1] ومع ذلك لم نجد أي شيء عن نسبه على شدة اهتمامهم بذكر الأساطير التي حيكت حوله!. وكل ما وجد عنه في أمهات الكتب بعض الروايات لأحاديث الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب فيما

(1) العسكري (السيد مرتضى)، المرجع السابق، م II، ص310، (انظر **أنساب الخيل** لكل من ابن الكلبي وأبو عبيد الله القاسم بن سلام وألف ابن الأعرابي أسماء الخيل).

كتبه لأهل العراق أو بعض الأسئلة التي أثارها له أصحابه، فذكر صاحب الإمامة والسياسة: «فقام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وعبد الله بن وهب الراسبي على علي فسألوه عن أبي بكر وعمر»[1]. وفي رواية البلاذري: «وأما حجر بن عدي الكندي وعمر بن الحمق الخزامي وحبة بنت جوين التجلي ثم العرني وعبد الله بن وهب الهمداني وهو عبد الله بن سبأ فإنهم أتوا عليًّا فسألوه عن أبي بكر وعمر»[2].

وقد ورد خبر عبد الله بن وهب الراسبي في الإمامة والسياسة، وقال البلاذري عبد الله بن وهب بن سبأ وقال القمي في ذكر الفرق الغالية: «وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تُسمّى بالسبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وهو عبد الله بن وهب الراسبي»[3] ونسبه ابن ماكولا للخوارج: «وعبد الله بن وهب السبئي رأس الخوارج»[4] كان مع علي في حروبه ولما وقع التحكيم بعد صفين وأنكره الخوارج أصبح عبد الله متّهمًا ولم يعرف عنه أي سلوك مشين أو دعوة للفتن «عبد الله بن وهب ذو

---

(1) ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ج I، ص174.

(2) **أنساب الأشراف**، تحقيق القسم II، ج I، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1974، ص383.

(3) الأشعري (سعد بن عبد الله القمي)، **المقالات والفرق**، تصحيح محمد جواد مشكور، طبعة الحيدري، طهران، 1963، ص20.

(4) ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله الشهير بابن ماكولا)، **الإكمال لرفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب**، تعليق عبد الرحمٰن بن يحيى العلمي، طبعة حيدر آباد، 1962، ج IV، ص536.

الثفنات[1] أول من قدم الخوارج على أنفسهم يوم النهروان وكان من خيار التابعين فقتل يومئذ»[2].

وحسب الظاهر لم نجد رواية خصّ بها عبد الله بن سبأ، وإنما وجدت روايات تذكر عبد الله بن وهب الراسبي ذا الأصل اليمني من سبأ، وينسب إليها سبئي أو السَّبَئي وهي نسبة سبأ بن لشجب[3] وهي مرادفة لليمانية والقحطانية والظاهر أن سيف بن عمر كانت له اليد الأولى في ذكر عبد الله بن سبأ وهو كما مرّ معنا عبد الله بن وهب الراسبي السبئي وتحوّل مدلول السبئية إلى مدلول مذهبي جديد فراجت الأسطورة وشاعت واشتهر عبد الله بن سبأ في مقابل عبد الله بن وهب السبئي بينما كانت السبئية في عصر علي بن أبي طالب تدلّ على الانتساب إلى القبائل اليمانية، وبعد انتشار هذه الأسطورة أصبحت تدلّ على الفرقة التي أسسها عبد الله بن سبأ والتي تؤمن بالرجعة والوصاية إلى الإمام علي[4]. واتخذت السبئية تعلة لتفسير ما ظهر في عهد حكم عثمان من اضطرابات وقلاقل، فكل المشاكل والأخطاء

---

(1) ذو الثفنات: لُقِّب عبد الله السبئي هذا بذي الثفنات لما صار على كفيه وركبتيه ثفنات كثفنات البعيرة لكثرة سجوده، العسكري (السيد مرتضى)، المرجع نفسه، ج II، ص313 ـ 314.

(2) ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف، مصر، 1962، ص386.

(3) ابن حزم، المصدر السابق، ص329 ـ ص330. ابن ماكولا، المصدر نفسه (مادة السبئي)، ج IV، ص532.

(4) العسكري (مرتضى)، المرجع نفسه، ج II، ص357 ـ 358.

اعتُبرت مؤامرات ودسائس من تدبير عبد الله وأتباعه، والظاهر أن أسطورة ابن سبأ أو ابن السوداء لم تكن من الأخطاء العرضية وإنما مردّها إلى دوافع السلطات آنذاك في التغاضي عن المشاكل الحقيقية للخلافة والميل إلى إرجاع أيّ خلل أو تجاوز لأطراف خارجيّة أو دخيلة على الدّين. ولا ينفصل الحديث عن هذه الفرقة عن حديث فرقة أخرى منسوبة إلى أتباع كيسان وهي فرقة منقرضة من الشيعة سُمِّيت بالكيسانية. وقيل إن كيسان مولى للإمام علي وقيل أيضًا تلميذ لمحمد ابن الحنفية[1]. وقالت الكيسانية بإمامة الحسن والحسين ثم أخيهم من الأب محمد ابن الحنفية الملقب بأبي القاسم ويُعدّ من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة وقد جاءته الإمامة من أبيه مباشرة حينما دفع إليه الراية «يوم الجمل» قائلًا له:

اطعنهم طعن أبيك تحمد

لا خير في حرب إذا لم تزبد[2]

وذهب صاحب الفرق بين الفرق إلى أن إمامة محمد ابن الحنفية بعد أخويه كانت بوصية من أخيه الحسين حينما هرب من المدينة إلى مكة وألزم بالبيعة ليزيد بن معاوية[3]. وتذهب هذه الفرقة إلى اعتبار محمد ابن الحنفية هو المهدي وأنه قد

---

(1) الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص147. الأمين (شريف يحيى)، المرجع السابق، ص202.

(2) الأشعري، المصدر السابق، ج 1، ص90. البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص39.

أحاط بالعلوم كلها واطلع على الأسرار من علم التأويل وعلم الآفاق والأنفس[1] وهكذا أصبح ابن الحنفية موضوع العقيدة الخاصة بغلاة التشيع من الكيسانية والفرق المتفرعة عنها، «الخاصة بالخلود الجثماني والرجعة وهما صفتا من يختاره الله لهداية البشر ويُعرف بالمهدي كما كان معقد رجاء وإيمان الأتقياء وموضع ثناء الشعراء المتصلين به»[2]، ومن ذلك قول الشاعر كثير عزة[3]:

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج VI، ص83 وما بعدها. الأشعري، المصدر السابق، ج I، ص90 ـ ص91؛ البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص38 ـ ص39. الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص149 ـ ص150. جولدزيهر، المرجع السابق، ص129؛ الأمين (شريف يحيى)، **معجم الفرق الإسلامية**، دار الأضواء، بيروت / لبنان، 1406/ 1986، ص202 -ص203. المهدي (فالح)، المرجع السابق، ص197.

(2) جولدزيهر، المرجع السابق، ص129.

(3) كثير بن عبد الرحمٰن بن أبي جمعة كان ينسب نفسه إلى قريش ويقال هو أزدي من قحطان، وهو شاعر حجازي من شعراء الدولة الأموية يكنى أبا صخر واشتهر بكثير عزة وهو أحد عشاق العرب وكان يقول بتناسخ الأرواح والرجعة وكان كثير من غلاة الشيعة الكيسانية الكربية، ومات كثير عزة بالمدينة المنورة سنة 105هـ. ومما يروى أن كثير مات وعكرمة مولى ابن عباس في يوم الأحد، فاختلفت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله وكان الخليفة عمر II يبغض كل هاشمي يحب كثير؛ ابن سلام (الجمعي محمد)، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1953، ص184. الأصفهاني، **الأغاني**، ج IX، ص4 - ص36؛ حسن (سعد محمد)، **المهدية في الإسلام**، ص149 ـ ص153.

ألا إن الأئمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه
هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
تغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء[1]

والكربية أصحاب أبي الكرب يقولون بأنّ محمّد ابن الحنفية حيّ بجبل رضوى[2] أسد على يمينه ونمر على يساره يحفظانه إلى وقت خروجه[3]. وبالتالي فإن آراء ومعتقدات الكربية عبّر عنها

---

(1) نسبها الأشعري في **مقالات الإسلاميين**، ج I، ص91، لكثير وكذلك البغدادي في كتابه **الفرق بين الفرق**، ص41. ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان 1408هـ/ 1988م، ج IX، ص6. ومراجع الأدب تخلط في نسبتها إلى الشاعرين كثير عزة والسيد الحميري الذي كان يدين بمهدية ابن الحنفية كصاحبه كثير ومرّد ذلك تشابه الشاعرين في العقيدة، الأصفهاني، **الأغاني**، ج IX، ص14، حيث نسب هذه الأبيات لكثير بينما نجد في الجزء VII، ص245، ينسبها ـ نفس الكاتب ـ للسيّد الحميري مع اختلاف طفيف في الرواية..

(2) جبل بالقرب من «ينبع» بالحجاز، الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت321هـ)، **مسالك الممالك**، باعتناء دي خويه، بريل، ليدن 1346هـ/ 1927م، ص21. فان فلوتن، **السيطرة العربية**، هامش ص80.

(3) الأشعري، المصدر السابق، ج I، ص90. البغدادي، المصدر =

شعراؤهم أمثال كثير والسيد الحميري في الأبيات السابقة، وكل هذه الآراء والمعتقدات الغالية ساقتها الكربية في شخص محمد ابن الحنفية حيث لم تعترف بموته فهو عندهم حي يُرزق ويحرسه الأسد والنمر وتنزل عليه الملائكة وتؤنسه. وقد اختلفت هذه الفرقة في سبب حبسه بجبل رضوى فمنهم من قال: «كان ذلك عقابًا له على خروجه بعد قتل أخيه الحسين إلى يزيد ين معاويةَ، وطلبه الأمان منه وأخذه عطاءه» ومنهم من قال: «لهروبه من ابن الزبير ومبايعته لعبد الملك بن مروان»[1]. ولكن ابن الحنفية تنقصه الحنكة السياسية والتجربة وهذا ما يفسّر اندحاره وفشله في دعوته. وكانت نهايته في محرم سنة 81هـ/ 700م.

ولا يقتصر أمر الاعتقاد في المهديّ وانتظاره على ما ذكرناه من فرق بل توجد عديد الفرق الأخرى وقد تفرّعت عن الشيعة من ذلك أنّنا نجد الباقرية وهم أتباع محمد بن علي بن الحسين الملقّب بالباقر ينتظرون رجعته ولا يصدّقون بموته[2].

= السابق، ص52. الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص150. فان فلوتن، **السيطرة العربية**، ص80. حسن (سعد محمد)، **المهدية في الإسلام**، ص105. المهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص197.

(1) البغدادي، المصدر السابق، ص52 ـ ص53. الإسفراييني (أبو المظفر عماد الدين)، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، نشر العطار، مطبعة الأنوار، القاهرة/ مصر، 1940، ص20. حسن (سعد محمد)، المرجع نفسه، ص105 ـ 106.

(2) البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص60. الإسفراييني، المصدر السابق، ص26. الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص165. شريف (يحيى)، **معجم الفرق الإسلامية**، ص51. المهدي (فالح)، المرجع نفسه، ص198.

1 ـ المهدي الاثني عشري:

تُعدّ الاثنا عشرية أكبر الفرق الشيعية عددًا وأنصارًا وتواجدها الجغراسياسي في القسم الشرقي من العالم الإسلامي وغلب على معتنقيها العنصر الأعجمي وخاصة الفرس، والمنقذ عند الاثني عشرية هو «المهدي» الذي هو الإمام الثاني عشر من سلسلة أبناء وأحفاد الإمام علي وفاطمة الزهراء «والمهدي الذي هداه الله الحق... وقد استعمل في الأسماء حتّى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمّي المهدي الذي بشّر به النبي أنه يجيء في آخر الزمان»[1].

وارتكزت هذه الفرقة على كلمة المهدي الواردة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ويعمل أنصار ودعاة المنقذ المنتظر/المهدي في معظم الفرق التي عملت على الأخذ من ماضيها الديني الكثير وهذا شيء طبيعي في الإنسان لأن العادات الراسخة والقيم المتجذرة تبقى حيّة وإن اتّشحت بالرداء الإسلامي[2].

وبمرور الزمن سوف تختلط هذه المفاهيم بالقيم الإسلامية الجديدة وتصبح لدى الجمهور إن لم نقل النخبة أكثر من شيء عادي ولا يمكن التمييز بين القديم المتأصل والجديد السامي...

---

(1) ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري)، **لسان العرب**، أعاد بناءه على الحرف الأول من كلمة يوسف الخياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت/لبنان، 1970، ج III، ص786 ـ 787.

(2) بوحديبة (عبد الوهاب)، **الإسلام والجنس**، ترجمة وإعداد هالة العوري، مكتبة مدبولي، القاهرة/مصر، 1987، ص5.

هذا ما حصل مع الفرس الذين كانوا الدرع الصائن واليد المحتضنة لآل البيت النبوي بعدما حلّت بهم عديد الفواجع خلال الحكمين الأموي والعباسي وهذا دعبل الخزاعي[1] أحد كبار شعراء الشيعة يرثيهم:

أفاطم! قومي يا بنت الخير واندبي

نجوم سماوات بأرض فلاة

قبور بكوفان[2] وأخرى بطيبة

وأخرى بفخ نالها صلواتي[3]

---

(1) هو دعبل بن علي الخزاعي من عرب الجنوب وكان على ولاء شديد لعليّ وبنيه، مدح آل البيت النبوي ورثاهم وهو من الشعراء الذين جابوا الآفاق للامتهان بشعرهم، وقد عاصر هارون الرشيد فأبناءه الأمين والمأمون ومحمد المعتصم وكذلك الواثق وجعفر المتوكل، توفي قتيلًا سنة 860 م، ابن المعتز (عبد الله بن المعتز العباسي)، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 1956، ص265. الأصفهاني، **الأغاني**، ج XVIII، ص29 ـ ص59. الصدر (السيد حسن)، **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**، مؤسسة النعمان للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 1993، ص193 ـ ص195.

(2) كوفان أو الكوفة، مُصِّرت سنة 638م واستوطنتها قبائل عربية متعددة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مطبعة دار صادر ودار بيروت، بيروت /لبنان 1375هـ/ 1956م، ج IV، ص490. راجع كتاب الدكتور هشام جعيط، **الكوفة**، دار طليعة بيروت /لبنان، 1993.

(3) الخزاعي (دعبل بن علي)، **الديوان**، جمعه وحفظه عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت/لبنان، 1989، ص135.

وله بيت في تائيته الخالدة التي رثى فيها أولئك الذين طالبوا بالخلافة ووقفوا في وجه السلطة الحاكمة وكان جزاؤهم الموت، يستبشر فيها بالفرج على يد المنقذ، يقول:

إلـى الـحـشـر حـتـى يـبـعـث الله قـائـمـا

يـفـرّج عـنـا الـهـمّ والـكـربـات[1]

بينما نجد عند الفرق الكبرى الإسلامية أن المهدي هو من أحفاد فاطمة الزهراء، ومن الأحاديث التي تؤكد على تغييره مجرى الأمور تلك التي رواها صاحب بحار الأنوار «تنعم أمتي في زمانه نعيمًا لم تنعم مثله قَطّ البر والفاجر ترسل السماء عليهم مدرارًا ولا تدخر الأرض شيئًا من نباتها»[2] والمهدي إذا هو «محمد القائم بن الحسن العسكري[3] وهو الابن الوحيد لوالده[4]

---

(1) دعبل، **الديوان**، هامش ص137.

(2) المجلسي (المولى الشيخ محمد باقر)، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت/لبنان، (نسخة مصورة عن طبعة طهران)، 1403/ 1983، م XIII، (ج 51)، ص78. دونلدسن (د. دوايت م.)، **عقيدة الشيعة**، ص230..

(3) العسكري نسبة إلى مدينة «سر من رأى» انتقل إليها المعتصم بعسكره فمن ثم قيل لها العسكر ونُسب إليها الحسن العسكري لأن المتوكل أشخص أباه عليًا إليها فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو ولده الحسن إليها. حسن (سعد محمد)، المرجع نفسه، هامش ص129.

(4) المجلسي، **بحار الأنوار**، م XIII، (ج 51)، ص2. الفضيلي (عبد الهادي)، في انتظار الإمام، دار الأندلس، بيروت/ لبنان، 1979، ص21.

وتذكر الكتب والمصادر الشيعية أن والدة الإمام محمد المهدي من بنات الملوك فهي بنت يشوعا بن قيصر ملك روما ووالدتها من بنات الحواريين وتُنسب إلى وصي المسيح شمعون[1].

وتذكر المصادر الشيعية أن الإمام أبا محمد الحسن العسكري ذكر صفاتها ولباسها إلى أحد المقربين منه من ذرية أبي أيوب الأنصاري. وتتضافر هذه الروايات لتؤكد انتساب المنقذ المسلم المنتظر لحفيدة وصي المسيح، وفي الآن نفسه يعتبر حفيدًا للنبي محمد ولوصيه عليّ، وحتمًا سيكون للمنقذ نسب عظيم من كلا الوالدين وإذا لم يوجد لأحد نسب، اجتهد النسابة وأنصاره لوضع نسب يليق بهذا الشخص. فالبطل أو المنقذ سليل أسرة رفيعة المقام إلى أبعد الحدود، وهو بوجه عام حفيد لوصي المسيح ومحمّد، وقد وضعت حول ولادته عديد الحكايات ولفّقت الأساطير التي تُحاك عادة للعظماء والمنقذين: «وقد راق لها بوجه خاص، أن تسبغ على تاريخ ميلاد هؤلاء الأبطال وحداثتهم ملامح خارقة، ومن الحقائق المعروفة منذ طويل الزمان والتي لفتت انتباه العديد من العلماء التشابه المذهل بل التّطابق في تلك القصص لدى شعوب متباينة تفصل بينها في غالب الأحيان مسافات شاسعة»[2] فالنور الذي ظهر عند ولادة زرادشت

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، م XIII، (ج 51)، ص2. العاملي (السيد محسن الأمين الحسيني)، **في رحاب أئمة أهل البيت**، دار الثقافة المطبوعات، بيروت/لبنان، 1980، (مII ج5)، ص10.

(2) فرويد (سيغموند)، المرجع السابق، ص12.

وللنبي موسى وللرسول محمد[1] هو نفسه الذي حدث مع الإمام المهدي حيث تكلّم في المهد صبيًا قائلًا: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة إن حجة الله داحضة ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك»[2].

وممّا يروى أيضًا عن المعجزات التي حدثت في ولادته أنه ولد طاهرًا مختونًا مكتوبًا على عضده الأيمن «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا»[3]. أعتقد أن هذه النصوص تغنينا عن المقارنة مع الديانات والمذاهب الأخرى التي عظمت رجالاتها وأبطالها في الشعر والأسطورة من باكر الزمان وجعلت منهم أسطوريين[4] فالمسألة في غاية الدقة والوضوح فهي تذكرنا بميلاد سرجون الأكادي وجلجامش وموسى وعيسى وغيرهم. إذن ولد للحسن العسكري ابنه محمد الإمام المنتظر سنة 255هـ/ 869م وهو ثاني عشر الأئمة عند الشيعة الإمامية ويقال له: القائم

---

(1) ابن هشام، **السيرة**، ج I، ص172. البرزنجي (جعفر)، **مولد البرزنجي**، طبع على نفقة التيجاني محمد، مطبعة المنار، تونس، (د.ت)، ص9.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م XIII، ج (51)، ص4 - 6، 13.

(3) المجلسي، **بحار الأنوار**، م XIII، ج (51)، ص18 ـ 19. دونلدسن (د. دوايت م.)، **عقيدة الشيعة**، ص231..

(4) فرويد (سيغموند)، المرجع السابق، ص11.

(5) أبو الفداء (السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل)، **المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المتنبي، القاهرة / مصر، (د.ت)، ج II، ص45. ابن الوردي (زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر =

والمهدي والحجة[1]. وللإمام الثاني عشر (وهو الحجة) في الفكر الإسلامي الشيعي غيبتان، صغرى وكبرى[2] وفي الغيبة الكبرى لا يظهر إلا بعد أن يأتيه الأمر السماوي بالخروج حتى تمتلئ الأرض جورًا وقلوب الناس قساوة[3] وهذه ممّا رواه العلماء من أحاديث تُنسب للرسول عن علامات ظهور المنقذ الإسلامي الاثني عشر وهو حسب إجماع الأغلبية التي أرّخت لميلاده ونسبه المنقذ الإسلامي[4].

فالشهرستاني الذي تميّز بالعقلانية إلى حدّ ما والتمحيص والتحليل ذكر أنه إلى حدّ زمانه (ولد 1086م، ت 1153م) امتدت الغيبة إلى مائتين ونيّف وخمسين سنة والمهدي سوف يخرج وعمره أربعون سنة، قال:

= توفي 749 أو 750هـ)، **تاريخ ابن الوردي**، طبعة المطبعة الحيدرية، النجف/العراق، 1969، ج I، ص232.

(1) الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص170. المهدي (فالح)، المرجع نفسه، ص202.

(2) المجلسي، **بحار الأنوار**، م XIII، ج (51)، ص361. الفضيلي (عبد الهادي)، المرجع نفسه، ص29.

(3) الصافي (لطف الله)، **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، منشورات مكتبة الصدار، طهران/إيران، (د.ت)، ص326 ـ 346، حيث ذكر هذا الباحث الشيعي وترجم شهادات لعلماء سنة بولادة المهدي وأنّ المنقذ الإسلامي من آل محمد وعدّد نسبة هامة من العلماء والفقهاء تقارب المائة عالم ومن عدّدهم في أول هذا الفصل..

(4) الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص172.

«كيف تنقضي مائتان ونيّف وخمسون سنة في أربعين سنة»[1] ويضيف أنه كلما سئل القوم عن مدة الغيبة كيف تتصور؟ قالوا «أليس الخضر[2] وإلياس ﷺ[3] يعيشان في الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب؟»[4]. وهناك خمس علامات قبل ظهوره ورجعته إلى عالمنا وهي «الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني»[5]. وقبل قيامه ينادي منادٍ من السماء في أول النهار «ألا إن عليًّا وشيعته هم الفائزون وينادي مناد [في] آخر النهار ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون»[6].

وهنا نشتمّ رائحة روح عقائد زرادشتية متسرّبة إلى هذا

(1) الخضر في الإسلام، مار جرجيس أو جرجير أو جورج عند النصارى وهو صاحب موسى الذي يعلم أكثر من موسى في سورة الكهف (18: 61 ـ 82). الثعلبي، **قصص الأنبياء**، ص226. ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، **قصص الأنبياء**، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت/لبنان، 1996، ص347 ـ 353.

(2) ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 123]. الثعلبي (الإمام ابن إسحاق أحمد بن إبراهيم)، **قصص الأنبياء** (المسمى بالعرائس). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1412هـ/ 1991م، ص255 ـ 261، من صلحاء بني إسرائيل ويتبركون به، عاش في تزهد وسياحة في الجبال، ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص406 ـ 409.

(3) الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص172.

(4) الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني)، **الروضة من الكافي**، تصحيح علي الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، 1380هـ، ج VIII، ص310.

(5) الكليني، المصدر نفسه، ج VIII، ص310.

الحديث المرويّ عن الكليني في «كافيه» وقد مرّ معنا في الديانة الزرادشتية كيف أنّ الصّراع بين الخير والشر لا يمكن أن يتبدّل لذلك شبّهتهما بالليل والنهار فكما أن الليل مظلم والنهار متألق كذلك لا يمكن للخير أن يكون شرًّا ولا للشر أن يكون خيرًا أبدًا[1]. والنص الذي أوردناه أدمج فيه الصراع الهاشمي الأموي وهو صراع عشائري قبلي تطوّر بعد الإسلام ليصبح صراعًا سياسيًّا بين أكبر عشيرتين في قريش عمل كلا الجانبين على إعطائه طابعًا دينيًّا مميّزًا ولذا كان الانفتاح على حضارات وثقافات الشعوب الأخرى للنهل منها كلّ ما يمكن نهله في هذا الصراع، فكان عليّ ممثّلًا لقوّة الخير والنور يزدان أو «أهورا مازدا» وعثمان ممثلًا لقوة الشر والظلام «أهريمان». وفي هذه الصراعات السياسية التي تطوّرت لتصبح مذهبية مكسوة بوشاح ديني تسرّبت لعديد الفرق الكلامية الإسلامية ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام وتسرّبت في كتب الأحاديث والسير ولا يمكن التمييز بينها وبين الأحاديث الصحيحة. وهنا يمكننا القول إن كل شعب اعتنق الإسلام حافظ على جانب هامّ من الموروث الديني القديم نتيجة التّساهل والمرونة التي يتضمّنها الإسلام[2] ويعامل بها الشعوب التي دخلت في دائرته الحضاريّة والدينية وحتى التي خضعت له سياسيًّا.

هذا عن المنقذ المخلص كما يقرأ في أدبيات الاثني عشرية وتلك القراءات التي أوردناها.

---

(1) الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص237. المهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص71.

(2) بوحديبة، (د.عبد الوهاب)، المرجع السابق، ص152.

أما في ما يتعلق بالشيعة الإسماعيلية الشقيقة التوأم للقرامطة في خطّها الدعوي في حداثة عهدها فبسبب موضوع الإمامة والقائم المنتظر وعصر الظهور وصاحب الدعوة كان الانشقاق الكبير الذي ازداد تصدّعًا عندما أصبح للإسماعيلية الفاطمية مقرّ سياسي أعلنت منه قيام خلافتها التي هدّدت النفوذ والمصالح القرمطية في اتجاهها التوسعي صوب المشرق.

2 ـ المهدي عند الإسماعيلية:

تعدّ الإسماعيلية ثاني أكبر المجموعات الشيعية بعد الاثني عشريّة وتتفقان في جملة من الأسس إذ أنهما تسوقان الإمامة والخلافة والخلاص في أفراد البيت النبوي، واختلفتا في الإمامة بعد جعفر الصادق، فالإسماعيلية ساقت الإمامة من إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنه محمد بن إسماعيل وأطلق عليها اسم «السبعية» جاعلة الإمامة في سبعة أنفس تختم بالقيامة وقائمها «محمد بن إسماعيل» هذا هو الخطاب الذي تبنّته الحركة الإسماعيلية في دور الستر واستلهموا من الرقم سبعة ودلالاته دينًا لهم حتّى اتّخذوا منه لقبًا أو كنّوا به، مما دعا إخوان الصفاء إلى أن يشيروا إلى ذلك في رسائلهم: «توغّلت المسبعة في الكشف عن الأشياء السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة، فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات»[1].

لقد بنى «المسبعة» من الإسماعيلية والقرمطية أصول مذهبهم متخذين من الرقم «سبعة» معيارًا للأئمة والرسل ذوي العزم،

---

(1) إخوان الصفاء، **رسائل إخوان الصفاء**، دار صادر، بيروت، لبنان/ بيروت، 1958م، جIII، ص180.

والأدوار، مشكلين تقابلًا طريفًا سبعي الإيقاع بين الأفكار الدينية والمظاهر الطبيعية، فقالوا «لا يكون بعد محمد (غير) سبعة أئمة علي ـ وهو إمام رسول ـ والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد ومحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الإمام القائم المهدي وهو رسول»[1].

وجعلوا من محمد بن إسماعيل من أولي العزم، وأولو العزم عندهم سبعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن إسماعيل، على معنى أن السموات، والأرضين سبع واعتلّوا في نسخ شريعة محمد وتبديلها بأخبار رووها عن الإمام جعفر الصادق في قوله:

«... لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدًا، وأنه قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا فطوبى للغرباء». ونحو ذلك من أخبار القائم»[2].

والنسخ لديهم ليس إلغاء كاملًا، وإنما هو إلغاء من وجه، واحتواء من وجه فهو نوع من النفي الجدلي، يعكس إلى هذه الدرجة أو تلك إحساسًا بالتطوّر، لكنّه يبقى محدودًا بالإطار المذهبي وموظّفًا لخدمته[3].

---

(1) القمي (سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري المتوفى سنة 301هـ)، **كتاب المقالات والفرق**، تصحيح وتقديم وتعليق، د. محمد جوّاد مشكور، مطبعة «حيدري» طهران، 1963م، ص83.

(2) القمي، **كتاب المقالات والفرق**، ص84.

(3) القمي، **كتاب المقالات والفرق**، ص84. القنطار (كمال)، **في ظلال العدد**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م، ص59.

إذن تُعدّ مسألة الإمامة من أهم العقائد لدى الإسماعيلية والقرمطية لذلك أولوها كلّ الاهتمام اللازم ونظّروا لذلك القائم المستتر الذي على يديه سيكون الخلاص وكتبت الرسائل باسمه.

ومع كل ذلك نجد أن أغلب المصادر الإسماعيلية تتفق على أن إسماعيل بن جعفر الصادق غاب عن عيون الأعداء، بعد أن أوصى بتعيين ابنه «محمد بن إسماعيل» خليفة له في الإمامة[1].

ونفس المصادر الإسماعيلية طبعًا تروي أن إسماعيل كان في المدينة المنوّرة قبل أن يختفي عن الأعين العباسية وخطرها عليه خاصة وأن والده الإمام جعفر بن محمد (الصادق) قد نصّ على خلافة ابنه هذا (إسماعيل) له بموجب أحكام النص، وليس هناك أدنى شك بخصوص صحّة هذا النص وهو الذي يشكّل أساس ادعاءات الإسماعيلية[2].

وقد شكّلت وفاة الإمام جعفر الصادق عام 148هـ/ 765م، مجالًا لخروج وانبثاق مجموعات مذهبية تدّعي كل وحدة منها شرعيّتها وصلتها بالإمام جعفر وأن المخلص المنتظر سوف يظهر وينتصر بهم. ومن بين هذه المنبثقات التي ساقت المهدوية في شخص ابن الإمام جعفر الصادق «المغيب» حسب نظرهم نذكر

---

(1) ابن منصور اليمن (جعفر بن الحسن بن حوشب)، **سرائر وأسرار النطقاء**، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت/لبنان، 1984م، ص246. العبد الجادر (د. عادل سالم)، **الإسماعيليون: الدعوة والدولة في اليمن**، الكويت 2000م، (ط I)، ص22.

(2) Daftary (Farhad);. **The Ismā'īlîs; Their History An Doctrine** ,Cambridge, university Press, London 1990, p94.

فرقتين، ولم تنشقا عن بقية الإمامية الشيعية إلا بعد وفاة الصادق، وإحدى هاتين المجموعتين وهي التي نفت وفاة إسماعيل خلال حياة والده وقالت بأنه بقي على قيد الحياة وأنه سيعود بالنتيجة في صورة «المهدي». ودافع هؤلاء الشيعيون عن مزاعمهم خاصة وأن والده الإمام جعفر بن محمد لم يفعل شيئًا، وهو الإمام الذي لا يمكن أن يقول إلا الحقيقة لنقض حقوق إسماعيل الوراثية في الإمامة.

وطبقًا لذلك، فليس هناك أي سبب يدفعهم إلى التخلّي عن ولائهم لإسماعيل واعتقدوا أن إعلان الإمام الصادق عن وفاة إسماعيل كان مجرّد خدعة لكي يحمي ولده، وهو الذي كان قد ستره لأنه خاف على حياته ويطلق كل من النوبختي (عاش في القرن IIIهـ) وسعد القمي (توفي سنة 301هـ) على أفراد هذه المجموعة التي أقرّت بأن إسماعيل هو إمامها المهدي، اسم الإسماعيلية الخالصة[1] بينما أطلق بعض كتاب الفرق اللاحقين وبشكل خاص الشهرستاني (توفي 548هـ) على هذه المجموعة اسم الإسماعيلية الواقفة إشارة إلى أولئك الذين أوقفوا سلسلة أئمتهم مع إسماعيل[2].

أما المجموعة الثانية من الموالين لإسماعيل بن جعفر فقد اعترفوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل في تلك الآونة بعد أن

---

(1) النوبختي (أبو محمد الحسن بن موسى)، **فرق الشيعة**، تعليق وتحقيق العلّامة السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف/العراق، 1379هـ/1959م، ص88 ـ 89. القمي سعد، **كتاب المقالات والفرق**، ص80.

(2) الشهرستاني، **الملل والنحل**، جI، ص167 ـ 168.

أكّدوا وفاة إسماعيل خلال حياة والده الإمام جعفر، وقد آمنوا بأن محمدًا هو صاحب الحق والوريث لوالده إسماعيل، وأن الإمام الصادق شخصيًا قد نصّ عليه كذلك بعد وفاة ابنه إسماعيل، فالإمامة حسب هؤلاء المتحزّبين لمحمد، لا يمكن أن تنتقل من أخ إلى أخ آخر بعد حالة الإمامين الحسنين (الحسن والحسين)، ويطلق أصحاب الفرق على هذه المجموعة اسم المباركية[1] والذي يعنينا من هذا كله كيف جعلت بعض المجموعات الإسماعيلية من محمد بن إسماعيل مهديًا وقائمًا على يديه تقوم القيامة وتنسخ الشرائع، وكان محمد بن إسماعيل بالنسبة لهؤلاء الموالين من المباركية الذين يعدون الأسلاف المباشرين للقرامطة إمامهم السابع والأخير، والمنتظر عودته ليظهر من جديد، والجدير بالملاحظة أن مصطلحات المهدي والقائم هي مترادفات في أساس الاستعمال الشيعي لها، مع أن الإسماعيليين صاروا يفضلون استعمال مصطلح «القائم»، وخاصة بعد ظهور عبيد الله كإمام وخليفة فاطمي[2].

وقد أطلق على مثل هذه المجموعات اسم الواقفية، أي أولئك الذين وقفوا بثبات مع آخر إمام لهم، وقالوا بعودته الوشيكة في صورة المهدي ليملأ الأرض عدلًا وقد تواجدت بكثرة خلال القرن الثاني الهجري الثامن للميلاد وكان من السهل

---

(1) النوبختي، **فرق الشيعة**، ص89 ـ 90. القمي سعد، **كتاب المقالات والفرق**، ص80 ـ 81. البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص64.

(2) Ivanow. (Wladimir), **Studies in early Persian Ismailism, Bombay, 2ed, 1955, p24**. Medelung. (Wilferd). **«Kāim Al Muhammad»**, EI_2, vol IV, pp 456-45. Daftary (F). **the Ismailis**, p103.

تأهيل محمد بن إسماعيل، وهو الذي تمتع بتابعية لا بأس بها لمنصب المهدي[1].

إذن حصرت المجموعات التي وقفت على إمامة ومهدوية محمد بن إسماعيل بسبعة أئمة وهو الشيء الذي يفسّر أيضًا سبب اكتساب الإسماعيلية لتسمية إضافية فيما بعد هي السبعية[2] ومن أجل الحفاظ على حدود السبعة أئمة والبقاء ضمنها، تمّ ابتداع قائمة إمامية تضمّ: علي بن أبي طالب باعتباره إمامًا ورسولًا في وقت واحد والحسينيين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (زين العابدين) وجعفر الصادق وأخيرًا محمد بن إسماعيل، وهو الذي كان القائم المهدي. إذن يحتلّ محمد بن إسماعيل مرتبة الإمام السابع من سلسلة أئمة الإسماعيلية القرمطية بعد حذف اسم إسماعيل بن جعفر من سلسلة الأئمة التي يقرّون بها، والذي يعنينا من هذا التحليل في موضوع المهدي الإسماعيلي والقرمطي أن بواكير الإسماعيلية والقرامطة وأسلافهم آمنوا بأنّ محمد بن إسماعيل الذي بقي على قيد الحياة حسب معتقداهم كان القائم وآخر الرسل العظام (أولي العزم).

وسيقوم عند ظهوره من جديد بإبلاغ شريعة دينية جديدة تنسخ رسالة محمد المعلنة وهذا ما حدث مع القرامطة في عهد أبي طاهر الجنابي، ونشير تحديدًا إلى تلك الجريرة التي تعدّ فضيحة وسقطة عقائدية في سنة 319هـ وقد عرفت الحادثة بفضيحة

(1) Daftary (F), **the Ismailis**, p104.

(2) Strothman. (Rudolf), «**Sabiya**», EI, vol IV, pp 23-25.

«المهدي المزيّف» المعروفة «بذكرى الفتى الأصفهاني»[1].

إذن وممّا لا شك فيه أن القرامطة الإسماعيليين وهم من بواكير الإسماعيلية كانوا قد دعوا أصلًا إلى فكرة مهدوية محمد بن إسماعيل باعتباره موعودًا منتظرًا لذلك سمّي أئمة دور الستر باسم «محمد» ولعلّ ذلك إيمان من أتباع كل إمام مستور بأنه قائم القيامة ويدعى «محمد»[2]. وقد وجدت إصلاحات عقائدية قام بها أئمة وكبار منظّري الإسماعيلية الفاطميّة لضمّ تلك المجموعات المنشقّة عن دار الإمامة الإسماعيلية والمتبنّية لعقيدة مهدويّة مخالفة لها.

ج ـ «السفياني»: المنقذ والمجدّد للحكم الأموي: بين توظيف الإرث الديني والطموح السياسي:

سبق قيام المهدي ورجعته ظهور السفياني، وهو منتظر لدى الفرع السفياني خاصّة والأمويّين عامّة ليعيد لهم أمجادهم كما يعده الشيعة الدجّال الذي يقتضي مجيء المهدي[3]. وقبل التطرّق إلى المنشإ العقائدي لنظرية المخلص الأموي «السفياني»، لا بدّ

(1) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص339.
(2) مؤلف مجهول، **في نسب الخلفاء الفاطميين** (أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبد الله إلى ناحية اليمن)، تقديم حسين بن فيض الله الهمذاني، تصدير يابرد دودج، القاهرة/ مصر، 1958م، ص10 ـ 11. Daftary (F), **the Ismailis**, pp105-108.
العبد الجادر، **الإسماعيليون**، ص25 ـ 26.
(3) الإمام علي بن أبي طالب، **الجفر**، ص11.

من الإشارة إلى أن هذه الفكرة قد وحّدت جميع أفراد البيت الأموي، بعد أن نكّل بهم العباسيون أبشع أنواع التنكيل فجمعتهم مصيبة سقوط دولتهم ووحّدت كلمتهم وصاروا يؤيدون أيديولوجية «السفياني» المنتظر وتحوّلت هذه الفكرة من دعوة إلى عودة الخلافة إلى الفرع السفياني كما كانت عليه في أوّل تسلّط أبناء عمومتهم من الفرع المرواني على مقاليد الخلافة بدمشق إلى محاربة بني العباس، فصارت مظهرًا للصراع العباسي الأموي باعتبار أن السفياني هو الذي سيقاوم الظلم والجور ويخلص الناس من جبابرة «خلق الله» وينشر العدل والسلام في ديار الإسلام، ولأجل تدعيم صحة دعوتهم أسندوا حديثًا للإمام علي ابن أبي طالب لتلقى دعوتهم تأييدًا وأنصارًا من العلويين وشيعتهم الذي عانوا من الاضطهاد العباسي[1].

وظهور حديث السفياني يعود إلى الفتنة الثانية أو «الفتنة الزبيرية»، التي ابتدأت بعد وفاة معاوية ورفض كبار أبناء الصحابة المبايعة ليزيد بن معاوية، مرورًا بكربلاء وواقعة «الحرة» بالمدينة المنورة حيث أُبيحت مدينة الرسول محمّد لجند الشام ثلاث أيام وبحصار مكة وحرق الكعبة وما تلاها من أحداث إلى أن تنازل معاوية الصغير عن الخلافة ليعيد مبدأ الشورى كأساس لاختيار خليفة المسلمين[2] الذي غيّبه جده معاوية وأبوه يزيد، الذي قطع

(1) البغدادي (الحافظ أبي بكر بن علي الخطيب)، **تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)**، مطبعة السعادة، القاهرة/مصر، 1931م، جI، ص38.

(2) ابن قتيبة الدينوري، **الإمامة والسياسة**، ج II، ص17 - 18. =

شعرة معاوية، فقد اختل التوازن القبلي حيث اعتمد يزيد اعتمادًا كبيرًا على أخواله من قبيلة كلب وأبعد القبائل القيسية. وكان على رأس الكلبيين ابن خاله حسان بن مالك بن بحدل. وكما ذكرنا سابقًا، لم يحتفظ معاوية الصغير بالخلافة وطمح أكثر من طامح في استلامها.

وقد أفرز الصراع السياسي على السلطة بين المسلمين نتاجًا فكريًا تطور مع الأيام ليشغل أدوارًا كبيرة في العصرين الأموي والعباسي[1]، خاصة وأن الماسكين بمقاليد السلطة في التاريخ الإسلامي ربطوا كل شيء بأشخاصهم لاسيما بعد وفاة يزيد بن معاوية الذي ذهب ضحية اختلال التوازن السياسي داخل البيت الأموي الكبير[2]، ومن مظاهر ذلك أن هذا الخليفة كان محلّ طعن حتّى المبالغة في أغلب الروايات التاريخية[3]. وهناك دلالة أخرى كشفت عنها وفاة يزيد المفاجئة، هي أنّ البيت السفياني

= البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج IV، (قسم II)، ص64 ـ 65. اليعقوبي، **التاريخ**، جII، ص169 - 170. المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج VI، ص16 ـ 17.

(1) عيسى (د. رياض)، **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية**، دار الفكر، دمشق/سورية، 1412هـ/ 1992م، ص302.

(2) بيضون (د. إبراهيم)، **مؤتمر الجابية**، دراسة في نشوء خلافة بني مروان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص40.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج VII، ص5. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص280. بيضون (د. إبراهيم)، المرجع السابق، ص40.

كان يدين عمليًّا لشخصية معاوية القوية والمحنكة وقدرته على توظيف الموروث الأموي في الحجاز لتحقيق أهدافه ومخططاته السياسية، ولم يكن لأفراد أسرته حضورهم البارز في دولته[1]. وبايعت كل الأقاليم بعد وفاة يزيد لابن الزبير ما عدا جند الأردن وعلى رأسهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي الذي كان يميل إلى بني أميّة ويدعو إليهم[2] حتى إنه كان يفكر في البيعة لخالد ابن أختهم[3] وبعد اجتماع «الجابية» خرج المجتمعون على أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم على أن يخلفه خالد بن يزيد وأن يكون الحكم بعدهما لعمرو بن سعيد بن العاص الملقّب بالأشدق وأن تكون إمارة دمشق لهذا الأخير وإمارة حمص لخالد بن يزيد[4] فمروان بن الحكم لم يقع اختياره كخليفة لمواجهة الخليفة عبد الله بن الزبير الأسدي وهو الأكثر شرعية نظرًا لإجماع أغلب أقاليم الخلافة على بيعته، باستثناء جند الأردن كما ذكر، ثم لتاريخه العريق الذي يضاهي مروان بن الحكم والطُّلقاء من بني

---

(1) ابن بكار (أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي العاني، بغداد، (دت)، ص182. بيضون (د. إبراهيم)، المرجع السابق، ص41.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج V، ص530. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص282.

(3) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص282.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج V، ص535 ـ 537. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص282. VON SALEH (K. Mammaneh), **«Marwan b. Al-Hakam and the Caliphate»**, Der Islam, Band 65, Heft II, 1988, P 222.

أمية[1] إلّا لسنّه ولأنّه أكبر شيوخهم ولتجربته وقدرته على مواجهة ابن الزبير ودسائسه[2]، وقد أعرب خالد بن يزيد عن استيائه من نتائج مؤتمر «الجابية»، وخاصّة تخلّي خاله حسّان بن مالك وتراجعه عن تأييده له وانضمامه إلى أنصار مروان بن الحكم[3]، وقد لاحظ خالد ابن يزيد كيفيّة تخطيط مروان للإبقاء على سلطانه وتوريثه لأبنائه من بعده، ومن أجل ذلك تزوّج فاختة أرملة يزيد أم خالد[4]، وبهذا الزواج استطاع أن يستميل آل يزيد والكلبيين، وأن يتخلّص من وليّ عهده وما لبث أن

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج IV، القسم II، أو (ب) تحقيق م. شلو سنغار، القدس، 1938، ص65.

(2) البلاذري، المصدر السابق، ج V، تحقيق س. غويتاين، القدس، 1936، ص144. ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي)، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وزملائه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962، ج IV، ص394. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص282. خليل (فاضل)، **خالد بن يزيد (سيرته واهتماماته العلمية، دراسة في العلوم عند العرب)**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد/العراق، 1984، ص69 ـ 70؛ MULLMAN (Manfred), «Halid Iben Yazid und die Alchemie», Eine Legendes der Islam, Band 55, Heft II, Tübingen, 1978, P 194 - 195.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج V، ص537. ابن الأثير، المصدر السابق، ج VI، ص148. فاضل (خليل)، المرجع السابق، ص71 ـ 72.

(4) الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب)، **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة/مصر، 1976، ص129.

خلعه وأخذ البيعة لابنيه عبد الملك ومن بعد عبد العزيز[1]. وبذلك تمّ انتقال الحكم من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني من الأسرة الأموية، وهذا يؤكد فقدان آل أبي سفيان لنفوذهم السياسي، فأحداث خطيرة مثل ما لحق آل البيت النبوي من تقتيل وتشريد ألّبت المسلمين ضدّهم.

1 ـ خالد بن يزيد وتوظيفه للتراث الديني:

اتّسمت وضعية خالد بن يزيد تجاه الحكم المرواني بالتهميش[2]، صحيح لم يعتبر معارضًا بل أحسن عبد الملك بن مروان الاستفادة من حنكته السياسية[3] وخبرته في المجال العسكري[4]، لكنه أقصي من شؤون السياسة فاتجه اتجاهًا علميًّا عُرف به من قبل الجميع فكان يردّ على خصومهم الذين اتهموه بالعجز عن الوصول إلى سدّة الخلافة وكيف احتال عليه مروان فكان ردّ أحد مؤيّدي خالد: «إنه لو طلب الأمر لطلبه بحد وجد، ولكنه علم علمًا فسلّم الأمر أهله»[5].

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج V، ص610 ـ 611.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج VI، ص158 ـ 159. فاضل (خليل)، المرجع السابق، ص76 ـ 77.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج VI، ص339؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج V، ص408.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، ج V، ص408.

(5) ابن قتيبة، **المعارف**، ص352؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج IV، ص122؛ MULLMAN (Manfred), IBID, P 181 - 185.

ولقد أفرز الصراع السياسي على السلطة نشاطًا فكريًا ساهمت كل الظروف في تأجيجه ولعب الموروث الثقافي والحضاري للأمم والشعوب الخاضعة للسيطرة العربية أكبر دور في ذلك خاصة وأن الإرث سرعان ما يصطبغ بصبغة إسلامية لا تستطيع مع مرور الأيام دحضها أو حتى التشكيك فيها. خاصة بعد الواقع الجديد الذي آل إليه الحكم في العهد العباسي وكيف نشطت حركة الترجمة بشكل نقل فيه المترجمون عن الأعاجم تراثهم الديني والحضاري للغة العربية بدون تحفّظات علمًا أنّ البدايات الأولى للترجمة برزت في الحقبة الأموية[1].

وبسبب الضغط الشّامي الشعبي الكبير على خالد بن يزيد خاصة وأن أهل الشام من الموالين لجده معاوية بن أبي سفيان، يشكلون بوزنهم الكبير قوة لا بأس بها، أخرج خالد هذا خبر السفياني والمنقذ والمخلص الذي ينتظره أشياع آل أبي سفيان من أهل الشام والجزيرة وغيرهم، وهو يقابل المهدي المنتظر من ذرية علي بن أبي طالب، فكان لزامًا أن يبحث لهذا «السفياني» عن الشرعية حتى يصبح أمر خروجه حقيقة لا مناص منها. خاصة وأن خالد بن يزيد يُعدّ من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام[2] وأنه

(1) البلاذري، **فتوح البلدان**، دار النشر للجامعيين، بيروت/لبنان، (د.ت)، ج III، ص271. العاقل (نبيه)، **تاريخ خلافة بني أمية**، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص190 ـ 192، MULLMAN (Manfred), IBID, P 181. فاضل (خليل)، المرجع السابق، ص41.

(2) ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمٰن التميمي)، **الجرح والتعديل**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن/الهند، 1959، ج I، (ق 2)، ص357.

اشتغل بالحديث[1] فعمل على ترويج أحاديث تُنسب للرسول تؤكد مبعث هذا «المهدي السفياني» الذي يعيد أمجاد آل أبي سفيان في الخلافة وأنه يحمل نفس اسم جدهم أبي سفيان، وهذا الترويج لدعايته له بصمات شيعية واضحة، فاسم المهدي الشيعي يحمل اسم محمد وهو اسم الرسول.

وأغلب المؤرخين يرجِّحون أن خالد بن يزيد حكيم بني أمية هو واضع خبر السفياني المنتظر وأنه «...أراد أن يكون للناس فيهم طمع، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم»[2]. وذكر خبر السفياني صاحب الأغاني لكنه أنكر على مصعب الزبيري نسبته ذلك إلى خالد بن يزيد[3]، قائلًا: «... هذا وهم من مصعب الزبيري، فإن خبر السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة وكذلك خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وغيره من أهل البيت»[4] كالحديث الذي ينسب للإمام جعفر الصادق ويرويه عن أبيه محمد ابن علي بن الحسين الذي دعم به الأصفهاني حجّته على الزبيري، أن جدهم علي بن أبي طالب يقول: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل قبيح الوجه، ضخم الهامة بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبو عيينة، وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضًا ذات قرار ومعين فيستوي على

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج IV، (ق II)، ص66.
(2) الزبيري، المصدر السابق، ص129.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج XVI، ص85.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج XVI، ص85؛ فان فلوتن، المرجع السابق، ص107.

منبرها»[1]. وفي الحقيقة فإن متن حديث كهذا يشكّ في أن سنده للإمام علي خاصّة وأن رواية الحديث وإخراجه فيه رائحة صراع مذهبي مبطّن بأهداف ومطامح سياسية واضحة ولا تحتاج إلى تدليل، وهنا لا بدّ من التأكيد أن الشيعة اعترفت مباشرة بدعوة السفياني وأكّدت مجيئه على أن تكون بينه وبين المهدي الشيعي معركة تكون الغلبة فيها للمهديّ وتنقلب على السفياني، وسرعان ما روت الشيعة عن النبيّ هذا اللقاء ووضعت أحاديث تؤكّد وقوع المعركة الفيصل بين السفياني والمهدي»... سيبايع الناس المهدي يومئذ حكمة بين الركن والمقام ثم يقول المهدي: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرًا، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام، لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومن معه من كلب»[2] ويعود الاعتراف الشيعي بالسفياني إلى أنه ذلك الأعور الدجال الذي سوف يدعي أنه هو المسيح عيسى ابن مريم ويكون أعور العينين والظاهر أنه قد

(1) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن)، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، قدّم له السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف/ العراق، 1390هـ/ 1970م، ص457.

(2) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز نواحيها من ورديها وأهلها**، تحقيق صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1954، ج XI، ص280. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج I، ص221؛ الحنبلي (مجير الدين أبو اليمن القاضي عبد الرحمٰن بن محمد)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، المطبعة الوهبية، القاهرة/ مصر (د.ت)، ج I، ص237.

أصبح للعور حظ كبير في هذا المجال[1] حتى إنّ بعض العور المقربين من السلطان يمازحون الخلفاء بذلك[2].

وبالرغم من وجود نصوص تنسب للرسول عن الدجال[3] إلا أن كلمة دجال لم ترد في القرآن وهذه الكلمة لها أصل آرامي[4] ودخلت التراث الديني العربي بالتثاقف والجوار المشترك حسب الظاهر.

وقد أحسنت الشيعة استغلال شعار «السفياني» الذي قد ثبت وضعه بدون جدال من قبل الأمير خالد بن يزيد لتدّعي أن «السفياني» نفسه هو «الدجّال»، فإن عرفنا الإرث الديني والتثاقف بين الشعوب قلنا إن تسمية الدجّال الذي يقابل السيد المسيح انسحبت في الفكر الشيعي على السفياني الذي يقابل

---

(1) الطبرسي، المصدر السابق، ص457. فان فلوتن، المرجع السابق، ص105.

(2) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج II، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة/مصر، 1943، ص149. فان فلوتن، المرجع السابق، ص106.

(3) والأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه عن الدجال كثيرة، **صحيح مسلم**، شرح النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت (د.ت)، المجلد VI، (ج 18)، ص58 ـ 78. وآخر هذه المصادر الزرقاني (الإمام محمد بن عبد الباقي)، **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1416هـ/ 1995م، ص124.

(4) فان فولتن، المرجع السابق، ص104. المهدي (فالح)، المرجع السابق، ص205 ـ 207.

المهدي، فقد حلّ السفياني محل الدجال وهو رمز للشر والضلال فهو يدعم أعمال «أهريمان» إله الظلمة والشر عند قدماء الزرادشتيين، ومن هذه التصورات يتضح لنا أنّ عديد الأفكار ذات الجذور الراسخة في تقاليد الأمم بل الضاربة في أعماق التاريخ تتحول إلى أصحاب الديانات السماوية والمذاهب المتفرقة عنها. ومهما عمل أولئك الأنبياء الذين اختارتهم العناية الإلهية لإصلاح «النفس البشرية» وبعض طبائع الإنسان إلا أن هناك قيمًا ومفاهيم تبقى راسخة لم تتغير ربّما تُعاد صياغتها لتلائم الدين الجديد وهكذا نجد فكرة «التنّين السومرية»[1] مجدّدًا ابتداء من قدماء المصريين في صراع الخير والشر عندهم[2] إلى الدّيانة اليهودية حيث نجد الحيّة رمز الشيطان أو الشر تغوي أم البشر المرأة «حواء» وتأكل من الشجرة المحرّمة وتطعم زوجها وتدخل هكذا المعصية إلى العالم[3]، وتطوّر مفهوم هذه الأساطير في أسفار العهد الجديد

---

(1) والتنّين هو ممثّل روح الشر التي اعتبرت متمّمًا لنظام الكون فالتنّين هو ذلك الوحش الهائل الذي يعمل على تدمير سفينة النجاة لبقية آلهة الخليقة، كريمر (صموئيل نوح)، **الأساطير السومرية**، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971، ص125. حبي (د. يوسف)، «أسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور»، التراث الشعبي، العدد VII للسنة الثامنة، 1977، ص27. المهدي (**فالح**)، المصدر السابق، ص207.

(2) PRITCHARD (James B.), **Ancient new Eastern Texts Melating to the old Testament**, Princeton, 1969, P 6- 7.

(3) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، (سفر التكوين، الفصل III).

حيث أتت مفسّرة لدوائر الصراع بين الخير والشر إلى حدّ كبير بما جاء في الملاحم الرافدية القديمة[1].

وهنا نجد المخلِّص والمنقذ الراكب على فرس أبيض يصارع التنّين والوحوش والنبي الكذاب (الدجال)، حتى يلقي بهم في مستنقع من نار وكبريت ملتهب ويبيد الباقين بسيفه وتظهر بعد ذلك سماء جديدة وأرض جديدة ويصير كل شيء جديدًا بفضل الفارس المقدام[2].

ونجد صوره وحتى بعض التماثيل له في بيوت النصارى وكنائسهم وحتّى عند الدروز للبطل «مارجرجس» أو «الخضر» وقد نسجت الأساطير حولهم ولا سيما بعض الشهداء والأولياء وهم يمتطون الفرس الأبيض ويحاربون الشر والظلام[3]، وهنا يتضح لنا جليًّا كيف تحوّل «التنين» إلى الأمم والحضارات الأخرى والديانات المختلفة فتحوّل في المسيحية إلى الدجّال وعند بعض فرق الشيعة إلى السفياني[4] ووضعت أحاديث لتأكيد خروج السفياني ونهايته على يد الإمام المنتظر، فالإمام الحسين شهيد كربلاء أُنطق بحديث جاء فيه: سئل الحسين بن علي عن السفياني، فقال: «وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقّعوا عند ذلك

---

(1) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، (إنجيل متى: 11 : IV)، (مرقس 13 :I، لوقا - 17 : X 19).

(2) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، إنجيل يوحنا الفصل IX وما بعده.

(3) حبي (د. يوسف)، المرجع السابق، ص41.

(4) المهدي (فالح)، المرجع السابق، ص207.

فرجًا قلت يملك تسعة أشهر، قال لا، لكن يملك ثمانية أشهر لا تزيد يومًا»[1].

وهنا يتضح جليًا كيف أن المناطق التي يحكم فيها السفياني هي المعقل التاريخي لبني أمية وتحديدًا مناطق نفوذ «السفيانية» التي تعتبر تاريخيًّا من الموالين لجدهم معاوية بن أبي سفيان، بل وزادوا في ذلك بخروج الثلاثة وهم «السفياني» و«الخراساني» و«اليماني» في نفس المدة الزمنية (في نفس السنة والشهر واليوم) ويضيف مصطنع الحديث:

«وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني لأنه يدعو إلى الحق»[2]. ويدلّ محتوى هذه الرواية بلا شك على أن مصدرها «يماني» خاصة وأن اليمانية لهم عقيدتهم الخاصة في «المخلص المنتظر» ومنهم حسب النصوص التي تمّ طرحها انتقلت إلى الفرق الإسلامية المتصارعة وتمّ تأويلها حسب الأحداث والظروف السياسية وهذا ليس بالجديد فمتكلّمو هذه الفرق عاشوا الواقع، وبالتالي مارسوا كلّ السبل والطّرق التي تقودهم لتحقيق مآربهم السياسيّة، ويتّفقون بشكل أساسي على أمل أهل اليمن بالمخلّص الذي يعيد إليهم أمجادهم الغابرة وينقذهم من المحتلّين الأحباش والفرس[3]، وعلي بن أبي طالب بالنسبة لأهل اليمن معقد آمالهم[4]، فكذلك كان شعار القحطاني المنتظر دعوة ترفع عند

(1) الطبرسي، المصدر السابق، ص457.
(2) الطبرسي، المصدر السابق، ص458.
(3) محمود (إبراهيم)، **أئمة وسحرة**، ص210.
(4) الجابري (د. محمد عابد)، **العقل السياسي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/لبنان، 1990، ص215.

اليمانية كلّما سنحت الفرص وخاصة إذا كان رافعها من أشراف اليمن كما حدث مع عبد الرحمٰن بن الأشعث الذي انتفض على الحجاج بن يوسف في سنة 81هـ/ 701م أيّام خلافة عبد الملك ابن مروان، وادّعى عبد الرحمٰن هذا بأنه «القحطاني» الذي عقدت اليمانية آمالها على خروجه ليقف يمانيّة العراق وغيرهم إلى جانبه فقيل له القحطاني على ثلاثة أحرف، فقال اسمي «عبد» أما «الرحماني» فليس من اسمي ولقب نفسه بناصر أمير المؤمنين[1].

ويروي ابن الأثير: «لا تقوم الساعة حتى يخرج من قحطان رجل يسوق الناس بعصاه»[2]. وتزيد الأحاديث التي عمل اليمانيون على حبكتها وحسن إخراجها بأن القحطاني هو نصير للمهدي ومتمّم لمشروعه الإصلاحي: «القحطاني رجل صالح وهو الذي يصلي خلْفه عيسى (المسيح) وهو المهدي وروي عن كعب الأحبار يموت المهدي ويبايع للقحطاني وما هو بدون المهدي في العدل»[3].

ومن الغريب حقًّا أن نجد البخاري ـ وهو من هو ـ يروي لنا «حديث القحطاني» الذي رواه ابن الأثير كحديث غريب[4]، فالقحطاني نصير للمهدي بينما نجد «الكلبي» وهو من أصول

---

(1) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص288. المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، م II، ص183.

(2) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المطبعة العثمانية، القاهرة، 1311هـ/ 1893م، ج II، ص193.

(3) المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، م II، ص183.

(4) البخاري (الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم الجعفي)، **صحيح البخاري**، طبعة بولاق، القاهرة/مصر، 1311 ـ 1313هـ، ج IX، ص58.

يمانية المخلص المنتظر لكلبي الشام وهو الذي يؤازر السفياني ويدعمه حتى يحقّق آل أبي سفيان أمانيهم من جديد في الحكم[1]، وفكرة السفياني لم ترتبط بسقوط الدولة الأموية وظهورها[2] كما ذكرنا، بل تعود إلى استفزازات عديد الأطراف لخالد بن يزيد بأنه غير جدير بالخلافة ممّا جعله يُفرّط في ملك أبيه وجدّه، فدفعه ذلك أن يُمنّي نفسه وأسرته المقرّبين ويعمل على تحدّي منتقديه واستفزازاتهم بأن الأمر عائد إلى آل أبي سفيان. وخالد هذا درس علم الحديث ـ ولو موقتًا ـ وأصبح محلّ رأي وسداد عند الجميع وله نبؤات خارقة مثل نبوءته في عمر بن عبد العزيز الذي عرف من دون قومه بني مروان بالصّلاح والعدل في الحكم وبأنّه إمام هدى[3] كما اصطنع له العبّاسيون «نبوءة» عن ميلاد دولتهم: «إنّ الأمر سوف يزول عن بني أمية إذا ظهرت الرّايات السّود في المشرق وإنّ الخلافة ستؤول إلى بني العباس وسيبقون فيها إلى أن ينزل المسيح»[4] وهذا الحديث ممّا لا شكّ

(1) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج XI، ص280. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج I، ص226، ج II، ص147 ـ 148، 159. فان فلوتن، المرجع السابق، ص108.

(2) كما ذهب إلى ذلك لامانس فقد اعتبر أن هذه الفكرة وضعت بعد سقوط الخلافة الأموية على يد بني العباس في سنة 132هـ/ 750م، «مادة الشام»، **دائرة المعارف الإسلامية**، م XIII، ص84.

(3) ابن الجوزي، **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، دراسة وتحقيق وتعليق د. السيد الجميلي، منشورات دار مكتبة الهداية، بيروت/لبنان، 1988، ص94.

(4) مؤلف مجهول، **أخبار الدولة العباسية** (وفيه أخبار العباس وولده)، بيروت/لبنان، 1971، ص168، 178 ـ 179.

فيه موضوع من قبل أجهزة الدعاية العباسية. ومن هنا يتّضح لنا أن «السفياني» هدفه سياسي بحت، بينما فكرة المهدي الشيعي أعطاها الزمن فكرة الشمولية لجميع المسلمين فأصبح الغرض من مبعثه أخلاقيًا اجتماعيًا أكثر منه سياسيًا[1]، ولذلك كان خبر المهدي أكثر شعبية في الأوساط الإسلامية فهو متنفّس الضعفاء والمسحوقين وهو السفينة الناجية التي يأمل الكثيرون فيها الخير، بينما كانت الإيديولوجية السفيانية ذات أهداف ومرام سياسيّة هدفها بعث مجد آل أبي سفيان المغتصب من أبناء عمهم «آل مروان» ثم سرعان ما تحوّل إلى مبعث مجد الدولة الأموية التي سقطت تحت ضربات الأعاجم من خراسان وإذا حقّقت دعوتهم غايتها وهدفها فلا حاجة لهم بهذا السفياني[2] الذي تنتظره قبائل غسان وقضاعة ولخم وجذام[3]، وكما وضع الشيعة أخبارًا وملاحم للمهدي وضع كذلك العثمانية أنصار بني أمية ملاحم لسفيانيهم عن غاراته وحروبه وكيف سيدعمه أمويو الأندلس وأنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف[4]

---

(1) جوزي (بندلي)، «السفياني»، **مجلة المقتطف**، م II، ربيع الأول 1352هـ/ جويلية/ تموز 1933، ص181.

(2) جوزي (بندلي)، المرجع نفسه، ص181.

(3) المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، ج VI، ص73. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص308. بيطار (د. أمينة)، **تاريخ العصر العباسي**، طبع جامعة دمشق، (د.ت)، ص81.

(4) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص308. بيطار (د. أمينة)، **تاريخ العصر العباسي**، هامش ص81.

وغرضهم من كل ذلك أن لا ينقطع الأمل من رجوع دولتهم، وكان ذلك سببًا في فتك العباسيين بكلّ من توهموا فيه الرائحة السفيانية. ولم تنقطع هذه النعمة في بلاد الشام إلا في نهاية القرن الثالث الهجري، حيث ارتسمت الخارطة السياسية والقبلية للمنطقة بملامح جديدة سوف تتجلّى في العقود اللاحقة ببروز تلك الكيانات الشبه المستقلة عن العباسيين.

2 ـ ظهور السفياني: بين التطلع السياسي ورد المظالم:

احتد الصراع السياسي بين الأمويين وأفراد البيت العباسي المتصدر على سدّة الخلافة الإسلامية خاصة وأن جهاز المخابرات العباسي كان كثير التنكيل بمعارضيه، فانضافت إلى الرقابة الأمنية رقابة أخرى لضمان وصول المعلومات الصحيحة عن خصومهم السياسيّين[1]، وقد أعقب الخطيب البغدادي بعد أن ذكر أحاديث كل طرف وقال بصريح العبارة: «... وكلّ هذه الأحاديث التي ذكرناها واهية عند أهل العلم والمعرفة لا يثبت بأمثالها حجّة وأما متونه فإنّها غير محفوظة»[2] وهنا يمكننا القول إنّ السفياني ظهر في الإسلام بعد انتشار العقائد المهدوية بصفة عامة، وكانت بلاد الشام منشأ هذه الإيديولوجية خاصة وأن تراثها القديم غني بكتب التنبؤات والملاحم والكتب الغيبية، والأهم من كلّ ذلك أنّ الرّوح الشرقية شديدة التأثر بكل ما هو

---

(1) الأعرجي (محمد حسين)، **جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية**، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت/لبنان، 1998، ص93.

(2) البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج I، ص39. الديوه جي (سعيد)، **اليزيديّة**، ص37.

غيب وأحداث المستقبل[1] ومع هذا أصبح الشعار السفياني شعار عرب بلاد الشام وينادون به كلما ثاروا على أصحاب السلطة الجديدة خاصة في العهد العباسي فكان هؤلاء يخشون من رفع هذا الشعار. وكما يستفاد من الحديث الذي رواه أكثر من واحد «أنّ رجلًا تعرّض للمأمون بالشام مرارًا فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى عرب الشام كما نظرت إلى عجم أهل خراسان فقال المأمون: كثرت عليّ يا أخ أهل الشام، والله ما أنزلت قيس على ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه أُغرب فعل الله بك!»[2]. وقد حاول عرب الشام مرارًا أن يردوا الملك إلى بني أمية في عديد الفرص، وكان أول من تلقّب بالسفياني ورفع هذا الشعار هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[3] علمًا أن التنكيل العباسي وسوء تدبيرهم السياسي جعل العديد من أهالي أقاليم بلاد الشام يثورون عليهم كما فعل أبو الورد وهو من أهالي الأمويين الذي أعلن الثورة على العباسيين ودعا أهل قنسرين

---

(1) فان فلوتن، المرجع السابق، ص97.

(2) ابن الأثير، **الكامل**، ج VI، ص159. جوزي (بندلي)، «**السفياني**»، ص182.

(3) المقدسي (البلخي)، **البدء والتاريخ**، ج VI، ص73. أما بيتشوف الجرماني في كتابه **تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء**، طبعة بيروت، 1880، ص15: فيذكر اسمه أبو محمد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان.

وحلب إلى اتّباعه ولكي يضفي الشرعية على ثورته فإنه بايع لرجل أمويّ تلقّب بالسفياني[1] ثم تأتي حركة أخرى يقودها سفياني من نفس هذه الأسرة وذلك في سنة 195هـ/ 810 م لقّب بأبي العميطر[2] حيث دعا لنفسه بالخلافة مُدّعيًا أنّه السفياني المنتظر وتغلّب على سليمان بن أبي جعفر المنصور عامل دمشق ووجد هذا السفياني دعمًا كبيرًا من موالي بني أمية ومن ابن بيهس من قبيلة نمير، وكان أغلب أصحابه وأتباعه من أخوالهم في قبيلة كلب[3] ولولا الفرقة والانقسام داخل البيت الأموي الكبير لصدقت نبوءة خالد بن يزيد بعودة الحكم إليهم مجددًا ولكن كانت النهاية على يد الجيش العباسي الذي قضى على الانشقاق السفياني المرواني إلى الأبد[4]، ثم ظهرت حركة المبرقع (وضع برقع على وجهه) في جندي الأردن وفلسطين سنة 227هـ/ 841م وادّعى أنّه السّفياني واعتقد اليمانية في جنوب بلاد الشام أنه

(1) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج VII، ص443. ابن الأثير، المصدر السابق، ج IV، ص334. بيطار (د. أمينة)، المرجع السابق، ص81.

(2) يسمّى علي بن عبد الله بن يزيد بن معاوية هذا نسبه من أبيه، أما نسبه من أمه فهي نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يستغل نسبه لأبيه وأمه ويقول أنا ابن شيخي صفين، **ابن الأثير**، المصدر السابق، ج V، ص234؛ ابن خلدون، (عبد الرحمٰن بن محمد، ت808هـ/ 1405م)، **تاريخ ابن خلدون**، دار صادر، بيروت/ لبنان، 1958، ج III، ص234.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج V، ص147. ابن خلدون، **تاريخ**، ج III، ص235.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج V، ص147. ابن خلدون، **تاريخ**، ج III، ص235.

السفياني المنتظر فالتفوا حوله[1] ولكن استخدام بني العباس الشدّة مع الأهالي وحسن استغلالهم للظروف مكّنهم من القضاء عليها، وفي العهد الفاطمي تحديدًا في سنة 397هـ/ 1007 م ظهر في طرابلس الغرب سفياني آخر يلقب بأبي ركوة[2].

وقد انطمست دعوات المهدوية الأموية باعتبارها جزءًا من التفكير المهدوي عند فريق «سياسي مسلم» بعد تلك التطورات التي حلّت في المشرق وتسلط الأعاجم على مقاليد الخلافة العباسية المهترئة وتبلور كيانات سياسية جديدة استقلت مناطقيًّا وتصارعت في ما بينها للحفاظ على كيانها السياسي.

وفي خاتمة مطاف الفكر المهدوي عند المسلمين لا بدّ من الإشارة إلى أن جميع المنظومات المذهبية التفكيرية في الإسلام قالت بعلامات لمبعث هذا «المخلص» المنتظر وهو حليف عقائدي وسياسي للسيد المسيح في حربهما ضدّ «الدجال»[3].

د ـ الدجال: بين الإرث العقدي والدعاية السياسيّة:

يُعدّ ظهور هذا الأخير من الأمارات الكبرى لاقتراب

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ج IX، ص116 ـ 118. ابن خلدون، **تاريخ**، ج III، ص270. بيطار (د. أمينة)، المرجع السابق، ص92 ـ 93.

(2) أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج II، ص138؛ جوزي بندلي، «السفياني»، ج II، ص182.

(3) ابن طاوس (السيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد توفي 664هـ)، **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج)**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1423هـ/ 2003م، (الطبعة II)، ص136 ـ 139.

الظهور، ومع «الدجال» لنا وقفة حيث يطلق عليه كلمة «المسيح الدجال» أيضًا ولكن المراد بهذا المسيح الدجال أنه مسيح الضلالة، ويطلق عليه أيضًا الأعور الدجال[1] وقد سمي هذا «الدجال» مسيحًا لأن عينه اليمنى ممسوحة مع حاجبها، فلا يبصرها. والمسيح هو الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين ولا حاجب، وقيل أيضًا لأنه يمسح الأرض ويقطعها[2] أما المسيح الكذّاب فسمّي دجّالًا، لما يلي:

- لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وشرّه، ويلبسه على الناس بادعائه وكذبه.
- ولأنه يغطي الأرض بجموعه، ويضرب في نواحيها والدجالة الدقعة العظيمة[3].
- وقد أصبح هذا اللفظ علمًا عليه، فإذا أطلق لا يتبادر إلى الذهن غيره[4].

وفي حقيقة الأمر فإنّه لم يرد في القرآن أيّ ذكر للدجّال وإن ذهبت بعض القراءات التأويلية لبعض آيات النص القرآني بأنّها

---

(1) طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة/الإسكندرية ـ مصر، 1425هـ/ 2004م، (ط6)، ص99.

(2) طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، **المسيح المنتظر**، ص99 ـ 100.

(3) طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، المرجع السابق، ص100.

(4) راجع الأحاديث الواردة عند ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، طبعة دار الفكر، دمشق/سورية، (د.ت)، جXIII، ص91.

إشارات إلى فتنة الدجال[1] وبالتالي فإنّ كلمة «الدجّال» قد تكون من أصل آرامي[2] وهي ترد في السريانية مثال ذلك ما ورد في إنجيل متّى[3] حيث ترجم «الأبشته» كلمة «Usxolotov» «بالمسيح الدجال» «Antechrist»[4] وقد حفلت المصادر والنصوص الدينية النصرانية بالتحذيرات من شخصية المسيح الدجال والفتنة التي سوف يحدثها بين الناس، ونجد في اعتقادات النصارى أن المسيح الكذاب سيظهر قبيل نهاية الأرض، ويبررون ذلك بأن حكمة الله تسمح للشرّ أن يتكامل أولًا، وينضج إلى جميع الشرور الممكنة حتى يجيء المسيح الصالح ويظهر محبّته[5].

وتوجد تحذيرات في النصوص الدينية من فتنة هذا «المسيح الدجال» من ذلك ما جاء في إنجيل متّى «... وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد: أخبرنا متى يحدث هذا الخراب؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟

---

(1) من ذلك تفسير البعض للآية 158 من سورة الأنعام ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، **القرآن الكريم، سورة الأنعام** (VI : 158) راجع قراءة طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، المسيح المنتظر..

(2) فان فلوتن (ج)، **السيطرة العربية**، ص104. مهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، ص205.

(3) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل متى الإصحاح XXIV: 3 ـ 8).

(4) طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، **المسيح المنتظر**، ص103.

(5) فان فلوتن (ج)، **السيطرة العربية**، ص102. الشبوط (إبراهيم)، **المهدية في عصر الغيبة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1427هـ/ 2006م، ص246.

فأجابهم يسوع: انتبهوا لئلا يضلّكم أحد سيجيء كثير من الناس، وستسمعون بالحروب وبأخبار الحروب فإياكم أن تفرغوا، فهذا لا بدّ منه، ولكنها لا تكون الآخرة ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة وهذا بدء الأوجاع»[1]

كما نجد في أدبيات الحديث النبوي إشارات عن الدجال وما سوف يحدث من فتن فقد جاء عن النبي محمد قوله: «ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض»[2].

وعند الاثني عشرية من الشيعة الإمامية باعتبارهم جزءًا لا يتجزأ من التيارات الإسلامية نجد ذلك الكم الهائل من الدراسات الذي ميزهم حول موضوع المهدي المخلص وعلامات ظهوره. ومن بين هذه المصادر نذكر عمل «السيد ابن طاوس[3] (توفي 664هـ) حول الفتن والعلامات التي تسبق ظهور المهدي وكملاحظة تفرض نفسها حول «الدجال»، نشير إلى أن أجهزة الدعوة الفاطمية عملت على تصوير المنتفض أبي يزيد مخل بن

(1) **الكتاب المقدس، العهد الجديد** (إنجيل متى 24: 3 ـ 8، 23 ـ 26).

(2) ابن كثير الدمشقي (الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر. توفي 774هـ)؛ **النهاية في الفتن والملاحم**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1408هـ/ 1988م، (ط I) ج I، ص85 ـ 86.

(3) **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج)**، ص27 ـ 65.

كيداد النكاري على الحكم الفاطمي (332 ـ 336هـ/ 944 ـ 948م)، بأنه «الأعور الدجال»[1]. والظاهر أن لأبي يزيد النكاري دراية بفنون الشعر وحسن استحضار شواهده الحجاجية على خصومه أو لتدعيم مواقفه وجلب أنصاره وله تنبؤاته الخاصة، من أجل دعم صفوف مقاتليه فقال لأهل القيروان محرّضًا إيّاه على قتال الجيوش الفاطمية «يا أهل القيروان إن خرّبت مدينتكم فقد خربت مكّة، وبيت المقدس»[2].

فاستغلت أجهزة الدعوة الفاطمية ذلك ونعتته «بمخلد الدجال»[3] ومن هذه النصوص يظهر لنا جليًا أن أبا مخلد النكاري هو «الدجال» لأن تلك الفكرة التي ناقشناها سابقًا عن «التنين» في الديانات القديمة الوضعية والسماوية تحوّلت إلى فكرة الدجال وفي الفكر الإسماعيلي الفاطمي أطلق على أبي يزيد مخلد ابن كيداد النكاري لما أحدثه من تهديد هزّ عرش الخلافة في المهدية، وكادت أن تسقط لولا حنكة الخلفاء والقادة الفاطميين وحسن استغلالهم لأحداث ومجريات هذه الحركة الخوارجية، المسلّحة.

ويبقى شخص المهدي الموعود هو ذلك المخلص الذي تباشرت المصادر الإسماعيلية بذكر أخباره وآيات خروجه وأوصافه

---

(1) القرشي (الداعي إدريس عماد الدين)، **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت/ لبنان (د.ت)، ج٧، ص172.

(2) القرشي، **عيون الأخبار**، ج٧، ص194.

(3) القرشي، **عيون الأخبار**، ج٧، ص194.

وحروبه وانتصاراته والخلاص لآل محمد وأتباعه وعلى يديه هو العمل الرئيس الذي ساد في دور الستر الإسماعيلي إلى أن تمّ إعلان الظُهور الفاطمي[1].

وإضافة إلى تلك العلامات والإشارات السابقة لظهور «المهدي» فإنّنا نجد أنفسنا أمام كمّ هائل من التنبؤات أو أشراط ظهور المهدي فإن «فان فلوتن» يرى أن أغلبها ذو مرجعيّة يهودية أو مسيحيّة، وأن واضعيها إما من اليهود أو من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وكسبوا بهذا النوع من الرجم بالغيب شهرة كبيرة أمثال «وهب بن المنبّه» و«كعب الأحبار» الذي كان قريبًا من الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب كما يرى أن هناك كتبًا قديمة في هذا الموضوع كانت معروفة بين المسلمين يرجع تاريخها إلى القرن الهجري الأول مثل كتاب «النبي دانيال»[2].

وليس من شك أنّ هذه الملاحظات ذات أهمية إلى حدّ ما في تمييز وتدقيق النصوص والروايات، لأنّ جملة من هذه التنبؤات وهي ليست بالقليلة منشؤها إسلامي، وتُعد من العقائد الموروثة عند المسلمين، ومرتبطة بحوادث ومجريات التاريخ الإسلامي منذ البعثة وصدر الإسلام، لذلك لا يمكننا الجزم بصحة كل تلك المصادر والنبؤات حول المهدي الإسلامي

---

(1) القاضي النعمان، **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1427هـ/ 2006م، (طII)، جIII، ص372 ـ 402.

(2) الشبوط (إبراهيم)، **المهدية في عصر الغيبة**، ص247 ـ 248.

وعلامات ظهوره، خلاف بعض هذه النبؤات حسب الدراسات الحديثة غلب عليها الوضع والانتحال.

هذه من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الدعاية العباسية قد نشطت في الترويج لذلك المخلص الذي أراده الساسة أن يكون عباسيًّا وليس علويًّا كما أنه خلال تلك الفترة التي ارتبطت بانهيار وسقوط الدولة الأموية وبداية تأسيس الدولة العباسية على أنقاضها تكاثرت التنبؤات وتضخّمت بسبب ذلك الانتقال السياسي من دولة إلى أخرى. لذلك ليس كل تلك النبؤات المنتحلة وراءها أطراف وافدة على الإسلام بل إن الخلفاء المسلمين وأمراء الأقاليم والولايات والمتغلبين على المناطق الطرفية من العالم الإسلامي كانوا يحيطون أنفسهم بحاشية من المنجّمين والحاسبين الذين أمطروهم تكهّنات حتّى ما كان بعضهم يخطو خطوة واحدة قبل مشورتهم، ولقد كان كثير منهم يحوك خيوط الدسائس الكبيرة، وينضج الطبخات السياسية البعيدة من خلال هذه التنبؤات فيذيعها أولًا ويهيئ أذهان الناس وأنفسهم لها، ثم يقدم على ما يريد تحقيقه، كما كان ثمّة أشخاص يحترفون وضع التنبّؤات المطلوبة ويمتهنون صياغتها بأسلوب خادع[1].

وقد حفلت المصادر بعديد التنبّؤات في عهد المقتدر والحكايات الساخرة عن رجل عاش في عصر هذا الخليفة يعرف بالدانيالي، كان ذكيًّا محتالًا لا يعتق الأوراق ويكتب بما يشبه

---

(1) فان فلوتن (ج)، **السيطرة العربية**، ص102. الشبوط (إبراهيم)، **المهدية في عصر الغيبة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1427هـ/ 2006م، ص246.

الخط العتيق، يذكر فيها إشارات ورموزًا يضمّنها أسماء الوزراء ورجالات الدولة، فيوحي لهم أن النبؤات جاءت بأخبارهم، وكان لهذا الرجل دور هام في وصول الحسين بن القاسم إلى الوزارة سنة 319هـ/ 931م، وذكر في كتابه العتيق صفات وعلامات هذا الشخص وقال: «إن الخليفة الثامن عشر يستوزره فتستقيم الأمور على يديه وتعمر به الدنيا ويقهر بصولته الأعداء...»[1] وفي تلك الفترة برزت النبؤات عند القرامطة والإشارات الفلكية ذات الامتداد التاريخي الموغل في القدم حول ظواهر فلكية تكون مؤشّرًا لبداية مرحلة حكم جديدة، وتنبؤات بظهور المنتظر والمخلص الذي آمن به القرامطة واعتقدوا أن الخلاص على يديه.

والذي يهمّنا هو تلك الدراسات حول «الجفر» لما بات يستبطنه هذا الكتاب في طيّاته من معان غيبيّة تغلّفها حجب من الغموض، ومع غيبية الباطن وغموض الظاهر يعيش الجفر في الأذهان على أنه زاخر بأحداث المستقبل وأخباره الخطيرة، و«الجفر» ينسب للإمام علي بن أبي طالب وترتبط به هذه النسبة لما فيه من علم للنبي أسرّه إلى ابن عمه وصهره علي بن أبي طالب وأمره بتدوينه، فكتبه علي حروفًا متفرقة وهو يحيط بكل شيء[2]. وقد أولت جميع المجموعات والمنبثقات الشيعية هذا

---

(1) ابن الأثير، **الكامل**، جVI، ص215.

(2) الإمام علي بن أبي طالب، **الجفران: الأكبر والأصغر**، دراسة وتحقيق هاشم عثمان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1422هـ/ 2002 م، ص21.

الكتاب أهمية خاصة لما فيه من تنبؤات وعلامات لظهور «المهدي المنتظر». حيث توجد روايات عن وجود كتاب خاصّ عند الأئمة من آل البيت النبوي يُسمّى كتاب الجفر وهو الكتاب المشهور على الألسنة، ففي إحدى الروايات المنسوبة للحسين بن علي بن أبي طالب عن الجفر قوله: «إنّي نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم البلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[1].

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج51، ص219. بركات (الشيخ أكرم)، **حقيقة الجفر عند الشيعة**، دار الصفوة، بيروت/لبنان، 1424هـ/2004م، (ط III)، ص44.

الخاتمة

إنّ أي باحث في أنثروبولوجيا العقائد وخاصّة في تاريخيّة المنقذ المهدوي ليس في غنى عن إطلالة على ماضي هذه الفكرة عند الشعوب السابقة وما نسجته لشخصيّة المنقذ المخلّص في أدبياتها. ومن هذا المعين الإنساني نهلت جميع المجموعات المظلومة ملامح تراثها العقدي في صراع الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل،...وهذا ما تجسّد لنا في عديد النصوص عند مجمل المجموعات الإنسانيّة والإسلاميّة، التي احتاجت إلى بطل، منقذ عندما ضاقت بها السبل ورسمت صورة غلب عليها الطابع الأسطوري لمنقذها، نسجها خيال أولئك المضطهدين في كل جماعة بشريّة وليس عند المسلمين فقط وبالتالي يكون هذا المنفذ المخلص حاملًا لصفات خوارقيّة وقد اختير من قبل عناية ربّانيّة خاصّة به، وبالتالي فإنّ طبيعته جمعت ما بين «الناسوتي واللّاهوتي» كما نرى ذلك في شخصيات كالسيد «المسيح» و«موسى» وما دوّنته أدبيات المجموعات الإسلامية حول شخصيّة «المهدي» باعتبارها مبدعة وإن كان هذا الإبداع نفسه في حاجة إلى تفسير لأنّ عديد النصوص قد أدخل عليها الأتباع والموالون كثيرًا من الأساطير لإضفاء صفة الشرعيّة الأحاديّة على خطّهم العقدي وكذلك لجعل الخلاص مرتبطًا بتلك الفئة.

إذن يُعدّ الفكر الإنقاذي امتدادًا إنسانيًا منذ أحقاب طويلة

توارثته البشريّة وتطوّرت مفاهيمه مع تطوّر الأزمنة والحضارات لذلك ركّزت عديد الحركات الاجتهادية والمنبثقة عن التيار الشيعي الأصيل مشاريعها الإصلاحية والسياسية حول ذلك الموعود المنتظر وهيّأت له الأرضية، موفّرة له مسبّبات القوّة وعناصرها لإعلان دولة المنقذ المهدي. ولا يفوتنا هنا كيف طوّرت المنظومة الدعوية للفاطميين مفهومها المهدوي وبلورته حسب تلك الإصلاحات المتمشية وتطوّرها الفكري المتعدّد المشارب ولتقريب وجهات نظر الأطراف المعارضة لسياستها العقائدية ولمفهومها المهدوي، بينما مازالت مجموعات إسلامية كبرى تعيش حالة الانتظار، مترقبة ساعة الخلاص الآتية لا ريب فيها حسب معتقداتهم، وهذا ليس محصورًا عندهم فقط بل سبقهم إلى ذلك اليهود والنصارى وكلّ ينتظر حسب فلسفته العقديّة.

قائمة المصادر والمراجع

* مؤلف مجهول، نسخة السجل الذي وجد معلقًا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم، VAT. ARABO. Nº 909.

الكتب المقدسة

* **الكتاب المقدس**: العهد القديم.

* **زرادشت الحكيم**، الفنديداد، ترجمه «داود جلبي الموصلي إلى اللغة العربية عن الترجمة الفرنسية للأبستاق، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل/العراق، 1952م، الفصل 19.

ــــــــ، **ترانيم زرادشت**، ترجمة وتقديم د. فليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

* **الكتاب المقدس**، العهد الجديد.

* **القرآن الكريم**.

- كتب التاريخ والرجال والأنساب

* ابن الأثير (عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، توفي 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت/لبنان، 1965م.

* الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد)، **مقاتل الطالبيين**، شرح وتحقيق السيد أحمد صهر، منشورات مؤسسة الأعلى، بيروت/لبنان، 1987م / 1408هـ.

* البغدادي (الحافظ أبي بكر بن علي الخطيب)، **تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)**، مطبعة السعادة، القاهرة/مصر، 1931م، جI.

* ابن بكار (أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي العاني، بغداد، (د.ت).

* البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق غويتاين س.، القدس، 1936م. القسم V.

______، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1974م. القسم II، ج I.

______، **فتوح البلدان**، دار النشر للجامعيين، بيروت/لبنان، (د.ت)، ج III.

* البلخي/ المقدسي، (مطهر بن طاهر، 507هـ)، **البدء والتاريخ**، المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، نشر وتحقيق كلمان حوار سنة 1907م، أعيد طبعة سنة 1962، طهران/إيران 1962م، ج II،ج VI.

* بيتشوف الجرماني، **تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء**، طبعة بيروت، 1880م.

* البيروني (أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، نسخة مصورة بالأوفست عن نسخة ليبزيك 1923م، مكتبة المثنى، بغداد/ العراق (د.ت).

* ابن تغري بردي الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1383هـ/ 1963م.

* الثعلبي (الإمام ابن إسحاق أحمد بن إبراهيم)، **قصص الأنبياء**

(المسمى بالعرائس)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1412هـ/ 1991م.

* ابن الجوزي، **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، دراسة وتحقيق وتعليق د. السيد الجميلي، منشورات دار مكتبة الهداية، بيروت/لبنان، 1988م.

* ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف، مصر، 1962م.

* الحميري (نشوان بن سعيد)، **منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم، ودواء كلام العرب من العلوم**، دار الفكر، دمشق 1981م.

* الحنبلي (مجير الدين أبو اليمن القاضي عبد الرحمٰن بن محمد)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، المطبعة الوهبية، القاهرة/ مصر، ج I.

* ابن خلدون، (عبد الرحمٰن بن محمد، ت808هـ/ 1405م)، **تاريخ ابن خلدون**، دار صادر، بيروت/لبنان، 1958م.

* الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق فؤاد السيد، طبعة وزارة الإعلام الكويتية، 1984م، ج III.

* الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب)، **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 1976م.

* الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير توفي 310هـ)، **أخبار الرسل (الأمم) والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة/ مصر دار المعارف، 1960 ـ 1969م.

* الطوسي (نظام الملك: وزير السلاجقة: توفّي 485هـ)، **سياست ـ نامه** أو **سير الملوك**، ترجمة الدكتور يوسف حسين بكّار، نشر وتوزيع دار الثّقافة، الدوحة/ دولة قطر، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م.

* ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز نواحيها من وارديها وأهلها**، تحقيق صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1954م، ج XI.

* أبو الفداء (السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل)، **المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المتنبي، القاهرة/ مصر، (د.ت).

* ابن قتيبة الدينوري، **الإمامة والسياسية**، (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي قم/ إيران، 1413هـ.

* ابن كثير الدمشقي (الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر توفي 774هـ)؛ **النهاية في الفتن والملاحم**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1408هـ/ 1988م، (Iط) جI.

ـــــــ، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان 1408هـ/ 1988م.

ـــــــ، **قصص الأنبياء**، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت/لبنان، 1996م.

* ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله الشهير بابن ماكولا)، **الإكمال لرفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء**

والكنى والأنساب، تعليق عبد الرحمٰن بن يحيى العلمي، طبعة حيدر آباد، 1962م، ج IV.

* مؤلف مجهول، **أخبار الدولة العباسية** (وفيه أخبار العباس وولده)، بيروت/لبنان، 1971م.

* مؤلف مجهول، **في نسب الخلفاء الفاطميين** (أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبد الله إلى ناحية اليمن)، تقديم حسين بن فيض الله الهمذاني، تصدير يابرد دودج، القاهرة/مصر، 1958م.

* المسعودي، (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت/لبنان، 1989م/ 1408هـ، مII.

ـــــــ، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت/لبنان، 1993م.

* المقريزي، **كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تحقيق القاضي محمود عرنوس، نشر وطبع إبراهيم يوسف، مكتبة الأهرام، القاهرة/مصر، (د.ت).

* المنقري، (نصر بن مزاحم ت212هـ/ 827م)، **وقعة صفين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم/إيران، 1382هـ.

* ابن هشام، **سيرة النبي ﷺ**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1401هـ/ 1981م، جI.

* ابن الوردي (زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر توفي 749 أو

750هـ)، **تاريخ ابن الوردي**، طبعة المطبعة الحيدرية، النجف/ العراق، 1969م.

* اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي)، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1993/ 1413، جI، جII.

- كتب الجغرافيا والرحلات

* الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت321هـ)، **مسالك الممالك**، باعتناء دي خويه، بريل، ليدن 1346هـ/ 1927م.

* ناصر خسرو القبادياني، **سفر نامه**، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي، الناشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط؟، 1403هـ/ 1983م.

* ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مطبعة دار صادر ودار بيروت، بيروت /لبنان 1375هـ/ 1956م.

- كتب الفرق والعقائد

* الإسفراييني، (الإمام الكبير أبي المظفر عماد الدين، ت471)، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، نشر العطار، مطبعة الأنوار، القاهرة/مصر، 1940م.

* الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الحداثة، بيروت/لبنان، (د.ت).

* البغدادي، (عبد القاهر بن طاهر)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت/ لبنان 1416هـ/ 1995م.

* التبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي)، **مشكاة المصابيح**، تحقيق محمد ناصر الألباني، طبعة الدهلي، جIII.

* الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، (د.ت)، جI.

* القمي (سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري المتوفى سنة 301هـ)، **كتاب المقالات والفرق**، تصحيح وتقديم وتعليق، د. محمد جوّاد مشكور، مطبعة «حيدري» طهران، 1963م.

* النوبختي (أبو محمد الحسن بن موسى)، **فرق الشيعة**، تعليق وتحقيق العلّامة السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف/ العراق، 1379هـ/ 1959م.

ـ مصادر الإسماعيلية

* إخوان الصفاء، **رسائل إخوان الصفاء**، دار صادر، بيروت، لبنان/ بيروت، 1958م، جIII.

* الرازي(الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان)، **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية**، تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي ضمن كتاب، **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية**، بغداد/ العراق، ، 1988م، القسم الثالث.

* القاضي النعمان، **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، 1427هـ/ 2006م، (طII)، ج III.

* القرشي (الداعي إدريس عماد الدين)، **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت/ لبنان (د.ت)، ج٧.

* ابن منصور اليمن (جعفر بن الحسن بن حوشب)، **سرائر وأسرار النطقاء**، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت/لبنان، 1984م.

ـ مصادر الاثني عشرية

* ابن أبي طالب (الإمام علي)، **الجفران: الأكبر والأصغر**، دراسة وتحقيق هاشم عثمان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1422هـ/ 2002م.

ـــــــ، **الجفر: أخطر مخطوطة على وجه الأرض**، تقديم وتحقيق محمد عبد الحليم عبد الفتاح، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 2006م، ملاحق ومقدمة (محمد عبد الفتاح).

* ابن طاوس (السيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد توفي 664هـ)، **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج)**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1423هـ/ 2003م، (الطبعة II).

* الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، توفّي 548هـ)، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، قدم له السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف/العراق، 1390هـ/ 1970م.

* الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، توفي 329هـ)، **الروضة من الكافي**، تصحيح علي الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، 1380هـ، ج VIII.

* المجلسي (المولى الشيخ محمد باقر)، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت/لبنان، (نسخة مصورة عن طبعة طهران)، 1403/ 1983، م XIII، (ج 51).

ـ كتب الأدب واللغة والموسوعات

* الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد)، **الأغاني**، طبعة دار الكتب المصرية عن نسخة بولاق المطبوعة في سنة 1285هـ، جXX.

* الخزاعي (دعبل بن علي)، **الديوان**، جمعه وحفظه عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت/لبنان، 1989م.

* ابن سلام (الجمعي محمد)، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1953م.

* ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة/مصر، 1943م.

ــــــــ، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وزملائه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة/مصر، 1962م، جIV.

* ابن المعتز (عبد الله بن المعتز العباسي)، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف، القاهرة/مصر، 1956م.

* ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري)، **لسان العرب** أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف الخياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت/لبنان، 1970م، جIII.

ـ معارف عامة

* البرزنجي (الشيخ جعفر)، **مولد البرزنجي**، طبع على نفقة التيجاني محمد، مطبعة المنار، تونس، (د.ت).

* ابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي الطائي الحاتمي) **كتاب عنقا مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب**، مطبعة محمد علي صبيح بالأزهر، مصر، 1954م.

* نوسترادادموس (مايكل دي نوسترادادموس ت1566م)، **تنبؤات نوسترادادموس**، (مع دراسة إسلامية تحليلية في التاريخ والمستقبل للدكتور شرف الدين الأعرجي)، دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت/لبنان، 1427هـ/ 2006م.

ـ علوم القرآن والحديث

* ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمٰن التميمي)، **الجرح والتعديل**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن/ الهند، 1959م، ج I، (ق 2).

* ابن الأثير (أبو الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري توفي 630هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المطبعة العثمانية، القاهرة/ مصر، 1311هـ/ 1893م، جII.

* البخاري (الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم الجعفي)، **صحيح البخاري**، طبعة بولاق، القاهرة/ مصر، 1311 ـ 1313هـ، ج IX.

* ابن حجر (أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الكناني العسقلاني المصري)، **فتح الباري في شرح**

صحيح البخاري، طبعة دار الفكر، دمشق/سورية، (د.ت)، جXIII.

* الزرقاني (الإمام محمد بن عبد الباقي)، **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1416هـ/ 1995م.

* مسلم (الإمام أبي الحسن النيسابوري، توفي 261هـ/ 875م)، **صحيح مسلم**، شرح الإمام النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت)، المجلد VI، (ج 18).

ـ المراجع العربية والمعربة والمقالات

1 ـ قائمة المراجع العربيّة

* إثناسيو (الأب د. متري هاجي)، **الموسوعة المريمية**، دمشق، 1982م.

* أحمد (د. محمد خليفة حسن)، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، 1998م.

* الأعرجي (محمد حسين)، **جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية**، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت/لبنان، 1998م.

* الأمين (السيد محسن 1282 ـ 1371هـ)، **المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية**، النجف/العراق، 1953م، جI.

* الأمين (شريف يحيي)، **معجم الفرق الإسلامية**، دار الأضواء، بيروت / لبنان، 1406/ 1986م.

* باقر (طه)، **مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد/ العراق، 1956م، جII.

* بركات (الشيخ أكرم)، **حقيقة الجفر عند الشيعة**، دار الصفوة، بيروت/لبنان، 1424هـ/ 2004م، (ط III).

* البوطي (د. محمد سعيد رمضان)، **فقه السيرة: مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، دار الفكر المعاصر، بيروت/لبنان ودار الفكر، دمشق/سورية (د.ت).

* بيضون (د. إبراهيم)، **مؤتمر الجابية، دراسة في نشوء خلافة بني مروان**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1417هـ/ 1997م.

* بيطار (د. أمينة)، **تاريخ العصر العباسي**، طبع جامعة دمشق، (د.ت).

* الجابري (د. محمد عابد)، **العقل السياسي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/لبنان، 1990م.

* الحمدي (عبد السلام)، **المهدوية الصوفية**، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس / كلية الآداب منوبة، 2001م، بحث شهادة الدراسات المعمقة، (مرقون).

* خليل (فاضل)، **خالد بن يزيد** (سيرته واهتماماته العلمية، دراسة في العلوم عند العرب)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد/العراق، 1984م.

* داود (محمد عيسى)، **مهدي منتظر صناعة إسرائيلية**، مدبولي الصغير، القاهرة/مصر، 2005م.

* الدبش (أحمد)، **كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب**، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق/سورية، 2006م.

______، **موسى وفرعون في جزيرة العرب**، دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق/سورية، 2007م.

* دروزة (محمد عزّة)، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/مصر، 1952م.

* الديوه جي (سعيد)، **اليزيديّة**، نشر المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1393هـ/ 1973م.

* زكار (د. سهيل)، وبيطار (د. أمينة)، **تاريخ الدولة العربية في المشرق**، جامعة دمشق، 1411هـ/ 1990م.

* السقا (أحمد أحمد علي)، **يوم الرّبّ العظيم المسقّى: معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقرآن**، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة (ط II)، 2004م.

* السقاف (أبكار)، **الدين في الهند والصين وإيران**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت/لبنان، ط I، 2004م.

* السوّاح (فراس)، **الرحمٰن والشيطان**، دار علاء الدين، دمشق/ سورية، 2001م، (طII).

* الشبوط (إبراهيم)، **المهدية في عصر الغيبة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، 1427هـ/ 2006م.

* الشرفي (د. عبد المجيد)، **الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن IV هـ/العاشر م**، الدار التونسية للنشر، تونس 1986م.

* شريعتي (د.علي)، **الحسين وارث آدم**، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت/لبنان، 1425هـ/ 2004م.

* شلبي (د. أحمد)، **مقارنة الأديان المسيحية**، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة/مصر، (ط II)، 1965م.

* الشيبي (د. كامل مصطفى)، **الصلة بين التصوّف والتشيّع**، دار الأندلس، بيروت /لبنان، (ط III)، 1982م، جI.

* الصادقي (د. محمد)، **علي والحاكمون**، دراسة تحليلية، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت/لبنان، 1969م.

* الصافي (لطف الله)، **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، منشورات مكتبة الصدار، طهران/ إيران، (د.ت).

* الصباغ (عماد)، **الأحناف**، دار الحصاد، دمشق/سوريا، 1998م.

* صبحي (أحمد محمود)، **نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية**، القاهرة/مصر، 1969م.

* الصدر (السيد حسن)، **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**، مؤسسة النعمان للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 1993م.

* الصفدي (د. هشام)، **تاريخ الشرق القديم**: (الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية، بلاد الرافدين حتى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد)، منشورات جامعة دمشق، 1421هـ/ 1992م.

* الطعمة (سليمان هادي)، **تراث كربلاء**، بيروت/لبنان، 1983م.

* طويلة (عبد الوهاب عبد السلام)، **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة/ الإسكندرية - مصر، 1425هـ/ 2004م، (ط6).

* العابد (مفيد رائف)، **دراسات في تاريخ الإغريق**، مطبعة دار الكتاب، دمشق/سورية، 1979م.

* العاقل (د.نبيه)، **تاريخ خلافة بني أمية**، دار الفكر، دمشق، (د.ت)

* عاقل (د. نبيه) **دراسات في تاريخ العصر الأموي**، مطبعة جامعة دمشق طبعة 1992م.

ـــــــ، وخماش (نجدة)، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى**، مطبعة دار الكتاب دمشق/ سورية، 1991م.

* العاملي (السيد محسن الأمين الحسيني)، **في رحاب أئمة أهل البيت**، دار الثقافة المطبوعات، بيروت/لبنان، 1980م، II (الجزء 5).

* العايب (د. سلوى بالحاج صالح)، **المسيحية العربية وتطوّراتها**، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، 1997م.

* العبد الجادر (د. عادل سالم)، **الإسماعيليون: الدعوة والدولة في اليمن**، الكويت 2000م، (طI).

* عثمان (فارس) **زرادشت والديانة الزرادشتية**، دار المحبة دمشق/ سورية، ودار آية بيروت/لبنان، 2003م.

* العزيز (حسين قاسم)، **البابكية**، (الانتفاضة ضدّ الخلافة العباسية)، دار المدى، دمشق/ سورية، 2000م.

* العسكري (السيد مرتضى)، **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى**، طبعة إيران، 1992م، المجلّد II.

* العقيلي (د. محمد أرشيد)، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، (طبع المؤلف)، عمّان/ الأردن، 1401هـ/ 1980م.

* علي (د. جواد)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375هـ/ 1956م. ج VI.

النجم (عبد الرحمٰن عبد الكريم)، **البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج**، دار الحرّية للطباعة، وزارة الإعلام، بغداد/ العراق، 1973م.

* عيسى (د. رياض)، **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية**، دار الفكر، دمشق/سورية، 1412هـ/ 1992م.

* غانم (خالد السيد محمد)، الزرادشتية: **تاريخًا وعقيدة وشريعة** (دراسة مقارنة)، دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق 2005م.

* الغريفي (عبد الله)، **أحاديث وكلمات حول الإمام المنتظر**، مكتبة الهداية الإسلامية، دبي، 1988م.

* الفاضلي (د. داود علي)، **أصول المسيحية** كما يصوّرها القرآن الكريم، مكتبة المعارف، الرباط/المغرب، 1393هـ/ 1973م.

* الفتلاوي (مهدي)، **مبادئ الثقافة المهدوية**، دار الكرام، بيروت/لبنان، 1995م.

* فرزات (د. محمد حرب)، **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر القديمة وحضارتها**، منشورات جامعة دمشق، 1412هـ/ 1992م.

* الفضيلي (عبد الهادي)، **في انتظار الإمام**، دار الأندلس، بيروت/ لبنان، 1979م.

* فياض (نبيل)، **يوم انحدر الجمل من السقيفة**، ليماسول، بيروت، 1994م.

* القصير (سيف الدين)، **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع، دمشق، 1994م.

* القنطار (كمال)، **في ظلال العدد**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م.

* كامل (مراد كامل)، **الكتب التاريخية في العهد القديم**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة/ مصر 1968م.

* محمد حسن (سعد)، **المهدية في الإسلام** (منذ أقدم العصور إلى اليوم، دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي)، دار الكتاب العربي، القاهرة/ مصر، 1373هـ/ 1953م.

* محمود (إبراهيم)، **أئمة وسحرة**، دار رياض الريس للنشر، بيروت ولندن، 1996م.

* المرزوقي (د. جمال)، **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**، دار الآفاق العربية، القاهرة/ مصر، 1421هـ/ 2001م.

* المعموري (ناجح)، **موسى وأساطير الشرق**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان/ الأردن، 2001م.

* منى (زياد)، **الإبيونيون وورقة بن نوفل والإسلام**، قُدمس للنشر والتوزيع، دمشق/ سورية، 2001م.

ــــــــ، بلقيس: **لغز ملكة سبأ**، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2004م.

* المهدي (فالح)، **البحث عن منقذ**، دار رشد للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، 1981م، ص426.

* نصحى (إبراهيم)، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، القاهرة/ مصر، 1966م، جII.

* هشام جعيط، **الكوفة**، دار طليعة بيروت /لبنان، 1993م.

* الوردي (د. علي حسين)، **وعاظ السلاطين**، بغداد/ العراق، 1954م.

* ولفنسون (د. إسرائيل)، **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، قدّم له د. طه حسين، دار مكتبة بيبليون، جبيل/لبنان، 2006م.

2 ـ المراجع المعرّبة

* برستد (جيمس هنري)، **فجر الضمير**، ترجمة سليم حسن، القاهرة/مصر، 1956م.

* بوحديبة (عبد الوهاب)، **الإسلام والجنس**، ترجمة وإعداد هالة العوري، مكتبة مدبولي، القاهرة/مصر، 1987م.

* جعيط (د. هشام)، **الفتنة**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت/لبنان، 1996م.

* جولدزيهير، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمه إلى العربية الأساتذة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، طبع دار الكاتب المصري، القاهرة، 1946م.

* دالي (ستيفاني)، **أساطير من بلاد ما بين النهرين**، نقلتها إلى العربية، د. نجوى نصر، نشر، بيسان للتوزيع والإعلام، الطبعة الأولى.

* دونلدسن (د. دوايت م.)، **عقيدة الشيعة**، تعريب (ع.م)، طبع مطبعة السعادة، القاهرة، 1946م.

* ديو رانت (وول)، **قصّة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1988م، المجلد XI.

* زيهنير (ر.س)، **المجوسية الزرادشتية، الفجر ـ الغروب**، نقله إلى العربية وقدم له، أ. د. سهيل زكار، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1425هـ/ 2005م.

* غرديه (لويس)، وقنواتي، **فلسفة الفكر الديني**، ترجمة صبحي الصالح ودوفريدجبر، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، 1967م، (طI)، جII.

* فان فلوتن (ج)، **السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات «المهدية» في ظل خلافة بني أمية**، ترجمة د. إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، 1996م.

* فرويد (سيغموند)، **موسى والتوحيد**، ترجمة د. جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت/لبنان، 1986م.

* كريمر (صموئيل نوح)، **الأساطير السومرية**، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971م.

* لوركر (مانفرد)، **معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة**، ترجمة صلاح الدين رمضان، ومراجعة الدكتور محمود ماهر، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة/مصر، 2000م.

* مؤلف مجهول، **أساطير من بلاد ما بين النهرين**، (الخليقة، الطوفان جلجامش، وغيرها)، ترجمتها إلى الانكليزية، ستيفاني دالي، نقلتها إلى العربية، د. نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط I، 1997م. **ملحمة جلجامش**، (اللوح الأول) (انظر أساطير بلاد ما بين النهرين).

* نغرين (جيو وايد)، **ماني والمانويّة**، (دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها)، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1985م.

* ولسن (جون)، **الحضارة المصرية**، ترجمة أحمد فخري، القاهرة/مصر، 1956م.

3 ـ المقالات

* جواد علي، «عبد الله بن سبأ»، **مجلة المجمع العلمي العربي** ببغداد (م.م.ع.ع)، م VI، 1378هـ/ 1959م، ص66 ـ ص99.

* جوزي (بندلي)، «السفياني»، **مجلة المقتطف**، ج I، 1 يونيو/ حزيران 1933م / 8 صفر 1352هـ، ص48.

ـــــــ، «السفياني»، **مجلة المقتطف**، م II، ربيع الأول 1352هـ/ يوليو/ تموز 1933م، ص 181.

* حبي (د. يوسف)، «**أسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور**»، التراث الشعبي، العدد VII للسنة الثامنة، 1977م، ص27.

* طه (باقر)، «**ملحمة جلجامش**» تعريبها للدكتور سامي سعيد الأحمد، في **مجلة التراث الشعبي البغدادية**، الأعداد VI لعام 1976م، والعددين VII و VIII، 1977م.

* الكمبي (د.حاتم)، «الحركات الاجتماعية التي تدور حول منقذ منتظر»، **مجلة الأستاذ**، المجلد III، عدد 1 ـ 2، سنة 1965 ـ 1966م، ص209.

* لامانس، «**مادة الشام**»، دائرة المعارف الإسلامية، م XIII، ص84.

* اليوزبكي (د.توفيق سلطان)، «فكرة المنقذ المنتظر والرجعة في عقائد المجوسية واليهودية والمسيحية وأثرها في الفرق الإسلامية»، **الجامعة** (تصدرها جامعة الموصل)، العدد II، السنة الرابعة، شوّال 1393م/ أكتوبر/ تشرين الأول 1973م، ص27.

ـ المراجع الأجنبية

* Abba hillel. (Silver), **A history of Messianic speculation in Israel form the first to seven teenth centuries**, beacom press Boston, 1959, P IX
* BROWN, (B.C), A LITERARY HISTORY OF PERSICA, CAMBRIDGE, 1930.
* Campbell.(Joseph), Oriental Mythology, Penguin books, London, 1977.
* Cowley. (A.E), Aramic papyri of the Fifth century, B. C Oxford.1923.

  ___ **Documents Aramées d'Égypte**, Paris, 1942.
* Daftary (Farhad);. **The Ismãîlîs; Their History And Doctrine,** Cambridge, university Press,London 1990
* Daghfous (R), **Le Yaman islamique**, Université Tunis I, 1995, T. I
* Degoegé. (M.J), **Mémoire sur les carmathes du Bahreïn et les Fatimides**, Leide-E.J. brill, 1886, pp113-137
* **Dictionnaire Encyclopédique**, Larousse, Paris, 1993, pp1004-1005
* Drioton. (E) et Vandier. (J), **L'Égypte** P.U.F, PARIS, 1975.
* Frazer. (James), **The Golden Bough,** Macmillan, N.Y 1971.
* Gelin. (A) «The letter prophets» in, Introduction to the old testement, Ed. By Arobert and A. Feuillet, Doubleday and Co.N.Y. 1970, Vol I.
* Gordon. C.H, **Ugarit and Minoan Crete**, Narton Library, New York, 1967.
* Greshom. (Sholem), **The Messianic Idea in Judaism and other Essays on Jewish spirituality,** Schochen books, N.Y, 1971.
* Harding. (M. Esther), **Woman's Mysteries**, Harper and Row, N.Y, 1976.
* Ivanow. Wladimir, **Studies in early Persian Ismailism**, Bombay, 2ed, 1955.

* Juny. (C. G), **transformation symbolism in the Mass**, in: «the Mysteries», Edited by. J. Campbell, N.Y, 1978.
* Madelung. Wilferd, «**Kâim Al Muhammad**», EI2, vol IV, Pp456-45.
* Mullman (Manfred), «**Halid Iben Yazid und die Alchemie**», Eine Legendes der Islam, Band 55, Heft II, Tübingen, 1978, P 194 - 195
* Nagel. (George), **šhe Mysteries of Osiris** in: «The Mysteries», Edited by J. Campbell, Prinction, N.Y, 1978.
* Otto. (Walter), **The Meaning of Eleusinian Mysteries**, in «the Mysteries», Edited by J. Campbell, Princeton, N.Y, 1978.
* Pritchard (James B.), **Ancient new Eastern Texts Melating to the old Testament**, Princeton, 1969.
* Schmitt. (Paul), **The Ancient Mysteries and their transformation**, in: «The Mysteries» edited by J. Campbell, Princeton. N.Y, 1978, P95
* Strothmann. (Rudolf), «Taziya» im **Enzyklopādie** des Islam, Leipzig, 934, Bd IV, P770
  ___, «**Sabiya**», EI, vol IV, Pp23-25
* Viaud. (J), «**Egyptian Mythalogy**», in Larouss Encyclopedia of Mytholog y, Hamlyn London. 1977, P17
* Von Saleh (K. Mammaneh), «**Marwan b. Al-Hakam and the Caliphate**», Der Islam, Band 65, Heft II, 1988, P 222
* Walts. (Allan), **Myth and Ritual in Christianity, Thames and Hudson**, London, 1954.
* Yoyotte. (J), **L'Égypte ancienne, dans l'histoire universelle**, Pleiade, Paris, 1965, vol I.

الكتاب

لقد أوْلى محمد الناصر صدّيقي اهتمامه إلى مجالات بحثٍ لم يكُن التوغّل فيها إلى حدّ الآن عميقًا في جامعتنا.

وأتاح له هذا الاتّجاه الاطّلاع على بعض ما انبثق ضمن الأنثروبولوجيا التاريخيّة من دراساتٍ وجهود نظرية ونتائجَ تطبيقيّة.

وكانت متابعة الملتقيات المختصّة مساعِدةً على تأسيس مقاربةٍ مبتكرة للنظر في الطقوس والعقائد والمتصوّرات الذهنيّة للمجتمعات على امتداد فترة طويلة من تاريخها.

ويظلّ انشغال الباحث الأساسي هو من دون نزاع المسائل الموصولة بمواضيع «الروحانية» وبشكل عام الأديان الخارجة عن المألوف في الشرق في القرون الأولى التالية للإسلام، وينضوي في دائرة الاهتمام التأثير الذي مارَسته الأديان السابقة للإسلام، والفلسفة اليونانية وخصوصًا الأفلاطونية والعقائد التوحيديّة القديمة التي سادت في المنطقة.

إنّ هذا الإرث العقائدي مثل «مِهادا» احتضن ميلاد الأديان التي نهلت منه في القرنين الثالث والرابع ميلادي، وانتهج منهجًا «حفرانيًا» مكّن من التوغّل في الجذور البعيدة أو العميقة لهذه الأديان والعقائد، وقد شُغِف الباحث بهذا القطاع من البحث فأقبلَ على النبش والتنقيب فيه مقلّبًا ورافعًا غطاء النسيان والإهمال.

وإنّها لمشكلة جوهريّة هذه التي انكبّ عليها، فعلى امتداد كلّ العصور والحِقب وفي كلّ الحضارات بدأ الإنسان مسكونًا بهاجس الحياة الأبديّة أو الحياة ما بعد الموت، وتجاوبت كلّ الأديان، التوحيدي منها والوثني لهذه الأسئلة الغيبيّة وقدّمت للبشر عقائد عن الانبعاث اطمأنّوا إليها ووجدوا فيها معنى. وارتقى الإنسان بهذه الأجوبة التي استقاها من عقائده إلى اكتساب كينونة ميّزته عن الحيوان بأن جعلته كائنًا جوهره الروح.

منيرة شابوتو الرمادي


ISBN 978-614-418-100-3

